

# حراء

السنة العشرون / (سبتمبر - أكتوبر) ٢٠٢٤

مجلة علمية ثقافية أدبية  
www.hiragate.com

دورية تصدر كل شهرين

99

Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary | September - October 2024

## خوف وأمان

مِنْ هَوْلِ الْمَشْهَدِ لَا تَفْزَعُ      وَتُسْرِعُ لِلْبَارِي وَالْجَأُ  
هَلْ تَمَّ - إِذَا شَاءَ - مُحَالٌ؟      فَبِقُدْرَتِهِ آمِنٌ وَاهْدَأُ



العزلة في عصر التواصل  
د. خالد صلاح حنفي محمود

٣٤

الكتاب الرقمي بين التأييد  
والممانعة/ د. سعيد سهمي

١٨

الإنسان في بوتقة الفكر  
فتح الله كولن

٢

## بذرة الحياة

نحن لا نرتقي إلا بتعديل زوايا النظر، إذ إن الفكر هو البذور وسلوكياتنا هي البراعم التي تنمو منها، أما الثمار فهي الأفراح والأحزان التي نعيشها.. في مقالته البارزة "الإنسان في بوتقة الفكر" التي تصدر هذا العدد من حراء، يأخذنا الأستاذ "فتح الله كولن" في رحلة لاستكشاف العوامل الحيوية التي تنمي قدرات الإنسان الكامنة؛ يقول "كولن": "لقد أرسل الإنسان إلى الأرض ليؤدي مهمة سامية، مزوداً في فطرته ببذور ونويات تحمل كل المؤهلات المطلوبة لهذه المهمة العظيمة، ومن ثم فإن ارتقاء الإنسان إلى شخصية نبيلة، وحيازته لفطرة وهوية ثانية تتسم بالسمو، ثم الحفاظ على هذه الهوية والشخصية المرموقة، مرتبط بتفكير منظم وسعي دؤوب وعمق في حياة القلب والروح".. ومن ثم يؤكد أن الارتقاء إلى سماء الإنسانية يتطلب نية صافية، وتفكيراً منظماً، وعزيمة لا تهتز، وجهداً متواصلًا.

في الوقت نفسه، يقدم لنا "العطري بن عزوز" في مقاله "كيف ندبر القرآن؟" رؤى حول كيفية تحقيق السعادة الدنيوية والأخروية من خلال التأمل في مقاصد آيات القرآن الكريم.

يُعاني كثير من الناس في عصرنا هذا من العزلة، وهي ظاهرة مرضية تؤثر نفسياً وجسدياً، حيث أثبتت الدراسات العلمية أن الشعور بالوحدة قد يكون له أبعاد صحية خطيرة.. في مقاله "العزلة في عصر التواصل"، يلقي "خالد صلاح حنفي محمود" الضوء على كيفية التغلب على هذه الظاهرة من خلال التقارير والأبحاث العلمية.

أما في موضوع صحة المعدة، التي تعتبر بيئة حيوية معقدة تحتوي على مجموعة واسعة من البكتيريا والفطريات التي تساهم في عملية الهضم، فيعرض "إبراهيم أبو عناية" في مقاله "الحياة داخل المعدة" كيف أن النظام الغذائي والحياة الصحية يمكن أن يعززا من صحة المعدة، ويساعدا على التخلص من السموم. يركز "صلاح عبد الستار الشهاوي" في مقاله "رعاية المسنين فريضة إنسانية" على أهمية رعاية كبار السن في الإسلام، حيث يوجب على المسلمين تقديم الرعاية الطبية والدعم النفسي والاجتماعي للمسنين. وفي موضوع العمل من المنزل، يناقش "محمد أبو سبحة" في مقاله "العمل من المنزل.. حقائق غير متوقعة" الإيجابيات والسلبيات المصاحبة لهذا النمط من العمل، مستعرضاً كيف يمكن أن يؤدي إلى راحة ومرونة، ولكن أيضاً إلى تحديات مثل العزلة الاجتماعية وصعوبة فصل العمل عن الحياة الشخصية. هذا إلى جانب مقالات علمية وفكرية وتربوية زخر بها هذا العدد من حراء، ندعو قراءنا الكرام

لاستكشافها والتأمل فيها، والله من وراه القصد. ■

٢	الإنسان في بوتقة الفكر / فتح الله كولن (المقال الرئيس)
٥	الحياة داخل المعدة / د. إبراهيم أبو عيانة (علوم)
٩	متلازمة المحتال / صابر عبد الفتاح المشرفي (قضايا فكرية)
١٣	تحت الركام / إسماعيل الغزاز (قصة)
١٥	رعاية المسنين فريضة إنسانية / صلاح عبد الستار الشهاوي (تربية)
١٨	الكتاب الرقمي بين التأييد والممانعة / د. سعيد سهيمي (قضايا فكرية)
٢٢	كيف نتدبر القرآن؟ / د. العطري بن عزوز (قضايا فكرية)
٢٦	أمانة الكلمة / محمود مصطفى حلمي (أدب)
٢٩	العمل من المنزل.. حقائق غير متوقعة / محمد أبو سبحة (قضايا فكرية)
٣٢	الأرواح المهمومة / فتح الله كولن (قطوف)
٣٤	العزلة في عصر التواصل / د. خالد صلاح حنفي محمود (علوم)
٣٨	السعادة الإنسانية عند النورسي / أ.د. عبد العظيم أحمد عبد العظيم (قضايا فكرية)
٤٢	كيف نتخلص من رفة العين؟ / د. محمد السقا عيد (علوم)
٤٦	كأن القرآن يتنزل من جديد / د. خالد فهمي (قضايا فكرية)
٤٩	عمر الخيام مؤسس المتوازيات / محمد زغلول عامر (تاريخ وحضارة)
٥٢	الفضائل الإسلامية على التركيبة المعمارية / رضا إبراهيم محمود (ثقافة وفن)
٥٦	الساعة البيولوجية في الكائنات الحية / د. ناصر أحمد سنه (علوم)
٦٠	في فكرنا الديني.. مراجعات وآفاق / د. السنوسي محمد السنوسي (قضايا فكرية)





## الإنسان في بوتقة الفكر

الإنسان يتطور ويتكيف وفق منظومته الفكرية. فمهما كانت صورة أفكاره، فإنه يميل إلى تجسيد تلك الصورة قدر استعداده لذلك. فإذا ما واظب على تأمل الأمور والأحداث من زاوية فكرية معينة، فإن شخصيته وبناءه الروحي يتشكّلان تدريجيًا وفق هذا النمط، خطوة بخطوة.

إن النية وعمق الطلب والشوق والعزيمة، عوامل حيوية تفتّح مواهب وتنمي قدرات كامنة في أعماق الإنسان، كما يفتّح المطر والهواء والشمس

**إن النزعة الملائكية أو الوحشية تبدأ كنواة  
في كينونة الإنسان، ومع التدريب المستمر  
والممارسة المتواصلة تتحول إلى قنوات  
راسخة، ثم تصبح نهرًا متدفقًا يتجاوز كل  
العقبات ليصل إلى الغاية المنشودة.**

حذاء

والتراب طاقات الأرض الكامنة فيها،  
فيجعل البذور تنبض بالحياة. ووفقًا  
لقانون الأسباب، فإن الدور الذي تلعبه  
التربة والهواء والماء والعناصر الطبيعية  
في إنماء البذور الكامنة في جوف  
الأرض، هو نفسه الذي يقوم به الفكر  
والنية في تشكيل شخصية الإنسان وصقل

أخلاقه. وكما تنبثق الأعشاب والأشجار من البذور، وتنبعث الطيور والفرشات من البيوض،  
فإن النفوس السامية والشخصيات العظيمة تولد من رحم الأفكار السليمة والنيات الطاهرة.  
الفكر هو البذرة، وسلوكياتنا وتصرفاتنا هي براعمها، بينما أفراننا وأحزاننا هي ثمارها. من  
أحسن ضبط زاوية النظر أحسن التفكير، ومن أحسن التفكير أزهرت في أعماق روحه بذور  
الخير، فعاش في الجنان التي أنشأها في وجدانه إلى الأبد. أما تلك النفوس المظلمة التي لا  
تكف عن التذمر وتلقي اللوم على الآخرين، والتي تنظر إلى العالم من خلال نوافذ ملطخة  
لعوالم كئيبة أو جدهتها في داخلها، فإنها لا ترى الخير، ولا تفكر فيه، ولا تذوق طعم الحياة  
وسعادتها. هؤلاء البائسون، حتى لو قُدر لهم دخول الجنة، لظلوا يعزفون ألحانًا جهنمية، ويشون  
الزبانية ضجرهم، ويعيشون حياة "الويل" في وديان أرواحهم التي لم تذوق طعم النور قط.  
لقد خلق المولى ﷺ الإنسان مكرمًا ومنحه شرف الخلافة، ليكون سيّدًا على المخلوقات  
وقائدًا لهذا الكون. ولقد أرسل هذا الكائن إلى الأرض ليؤدي مهمة سامية، مزودًا في  
فطرته ببذور ونويات تحمل كل المؤهلات المطلوبة لهذه المهمة العظيمة، ومن ثم فإن  
ارتقاء الإنسان إلى شخصية نبيلة، وحيازته لفطرة وهوية ثانية تتسم بالسمو، ثم الحفاظ على  
هذه الهوية والشخصية المرموقة، مرتبط بتفكير منظم وسعي دؤوب وعمق في حياة القلب  
والروح. وفي المقابل، فإن انحرافه نحو شخصية مشوهة وفطرة سيئة، ما هو إلا نتيجة لأفكار  
سلبية وتصورات مشوشة.

أجل، إن لم يفعل الإنسان قوة الإرادة التي منحها له الخالق، وإن لم يقبل على فهم جوهره  
وتحليل المواهب الأولى التي زُرعت فيه، وهي الأساس لبناء شخصية سليمة وأخلاق حميدة،  
وإن لم يسع جاهدًا لإعادة بناء ذاته على هدى التوجيهات الربانية، فلا مفر من أن يُفسد ذاته  
بل ويهلكها، وهيئات حينها أن ينجح في الحفاظ على كيانه. فهو أمام خيارين لا ثالث لهما:  
إما أن يُثمر أعمالًا تجلب له الرضا والسكينة والسعادة، وتضمن له الفلاح في الدنيا والآخرة،  
من خلال آليات صنعها في مصنع أفكاره ومختبر نواياه، وإما أن يدمر نفسه والمجتمع الذي  
يعيش فيه بأسلحة فتاكة صنعها بيده في المعامل الفكرية ذاتها.

أجل، إذا أُقيمت جنان في أعماق الإنسان على أفكار جميلة ونوايا صافية، فإنها ستمتد  
وتتسع بمرور الوقت لتشمل أطراف الأرض، فتحوّل كل ركن وكل قلب إلى روضة من رياض  
إرم الأسطورية. أما الأفكار السيئة والنوايا المنحرفة، فلن تُجرّع أصحابها إلا دماء وصدئًا،  
حتى وإن كانوا في الجنة.

إن النزعة "الملائكية" أو "الوحشية" تبدأ كنواة في كينونة الإنسان، ومع التدريب المستمر

والممارسة المتواصلة تتحول إلى قناعات راسخة، ثم تصبح نهراً متدفقاً يتجاوز كل العقبات ليصل إلى الغاية المنشودة.

إن الارتقاء إلى السماوات والوصول إلى ما وراءها، أو السقوط من أعلى عليين رأساً على عقب إلى المستنقعات التنتنة، كلاهما خياران متروكان للإنسان ليختار منهما ما يشاء، وهذا هو سر الابتلاء. ومن ثم فإن من يستثمر لحظة "الملتقى القدرى"، سوف يرقى ويبلغ قمماً لا يمكن لأحد بلوغها إلا بإمداد من صاحب الإرادة اللامحدودة سبحانه، أما الأشقياء الذين حُرِموا نعمة هذا التأييد فسوف يلطمون خدودهم حسرة، ويكون ندماً على العاقبة المأساوية التي صاروا إليها.

في الحقيقة، يمكننا أن نتحدث عن حدود إرادة الإنسان، لكن هناك حقيقة لا تخضع للنقاش أبداً؛ وهي أن أعظم منحة منَّ بها علينا الخالق تعالى -الذي يُسند إرادتنا بإرادته، ويقوّي عجزنا بقدرته، ويرفع فقرنا بغناه- هي أنه قد اختار الإنسان مخاطباً، وشرّفه بأسمى الوظائف والتكاليف، ونظّم أفكاره ومشاعره بهداياته الخاصة، وأوقد روحه، وشحذ قلبه، وأعان على بناء ذاته وصياغتها من جديد.

صحيح أن الإنسان لا قوة له، لكنه يستمد قوته من قوة خالقه القدير؛ وهو فقير، لكنه غني بخزائن الغني المطلق؛ إدراكه محدود، لكنه يمتد في اللامحدود بتوجيهات الهادي المشرقة؛ وعمره قصير، لكنه مرشح لعالم الخلود بخلود أفكاره وامتداد نواياه. باختصار، الإنسان هو أمين صندوق، يحمل في روحه مفتاح كل خير وكل شر على السواء.

ومن ثم، فالإنسان لا يفقد السيطرة على نفسه، ولا يهمل العناية بها حتى في أشد الحالات ضعفاً ووحدة؛ بل يحلل الظروف التي تحيط به، يدرس السنن والقوانين التي تحكم وجوده وبقاءه، ويستخدم إرادته كمفتاح. بهذا المفتاح، يشق لنفسه مسالك جديدة، يتخطى كل مرحلة حتى يكشف دوامات نفسه ويتجاوزها، يُخضع روحه للفحص والتدقيق مرة تلو أخرى فيدرك سرّ ذاته وكنهه أنه. ومع مرور الوقت، تبدأ معاني الخير والفضيلة والجمال في النمو والاتساع داخل وجدانه. وكما لا يتميز الذهب والماس عن التراب والأحجار إلا بعد أن يخضع لعملية انصهار، كذلك لا تتميز النفوس الذهبية والماسية إلا من خلال جهود حثيثة وعزائم متحفزة. بهذه الجهود، يظهر جوهر النفوس جلياً وتتألق حقيقتها بشكل مشرق وبهي. إن السعداء الذين حلموا بأن يتحققوا بالمعنى "الإنساني"، وكرّسوا حياتهم لتحقيق هذا الهدف، وظلوا يسعون دون فتور أو ملل لاكتشاف حقيقتهم والتنقيب عن أرواحهم، سوف يعانقون ذلك المعنى يوماً ويتوحدون مع أرواحهم لا محالة. "من طلب شيئاً جدّاً وجدّ، ومن قرع باباً ولجّ ولجّ". هذا قانون إلهي يؤكد أن الارتقاء إلى سماء الإنسانية يتطلب نية صافية، وتفكيراً منظماً، وعزيمة لا تهتز، وجهداً متواصلًا. وإن المساعدة الأولى في هذا المسعى قد مُنحت للإنسان قبل أن يأتي إلى هذه الدنيا، كما صدرت وعود ربانية بمساعدات لاحقة. فما يتبقى له في رحلة الحياة العجيبة، التي سيفاجأ في كل منعطف منها بمنح جديدة ومواهب متعددة، إلا أن يشحذ همته ويواصل الارتقاء إلى ما لا نهاية. ■

(\*) نشر هذا المقال في مجلة "سيزنتي" التركية، العدد: ٧١ (ديسمبر ١٩٨٤)، تحت عنوان "Düşünce Helezonunda İnsan". الترجمة عن التركية: نوزاد صواش.



## الحياة داخل المعدة

إنها أحد أبرز أعضاء الجهاز الهضمي في الإنسان، وتعد أكبر تجاويفه، ارتبط اسمها بالغذاء وطريقته ونوعيته، بل تخطت ذلك وارتبطت بصحة الإنسان وجودة حياته؛ إنها المعدة. ففي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ: "ما ملأ ابنُ آدم وعاءَ شراً من بطنه، حسبُ ابنِ آدم أكلاَت يُقْمَنُ صلبه، فإن كان لا محالة فثُلثُ لُطعامه وثلثُ لُشرايه وثلثُ لُنفسه" (رواه الترمذي)، والمقصود بطنه معدته. ورغم ذلك يمكث الطعام فيها أقل مدة مقارنة بأماكن مكوته الأخرى، فيمكث فيها نحو ساعتين، وترتفع هذه المدة لتصل من ٤ إلى ٦ ساعات في الأمعاء الدقيقة، وتتضاعف لتصل إلى ما يقرب من ٣٦ ساعة في القولون. وقد يرجع هذا لشدة تركيز حموضة المعدة التي تبلغ بمقياس الحموضة



(pH) ٣,٥-١,٥ وتُعتبر قيمة عالية جداً، ما دفع العلماء لوصف المعدة أنها عضو شبه مُعقم تستحيل فيه الحياة. ولكن ما مدى صحة هذا الوصف؟

### مقدمة لا بد منها

مع مطلع القرن التاسع عشر، بزغت شمس الاهتمام بالتركيب الميكروبي للجهاز الهضمي، عندما أكد الفرنسي "لويس باستير" أهمية الكائنات الحية الدقيقة لحياة الإنسان، وتلاه افتراض الروسي "إيلي ميتشنيكوف" أن لبكتيريا حمض اللاكتيك دوراً صحياً في تعزيز طول العمر.

يُصنف بعض العلماء الإنسان على أنه كائن خارق، يتكون من خلايا وكائنات دقيقة تكافلية، حيث يبلغ عدد الكائنات الحية الدقيقة التي تستعمر جسم الإنسان ١٠ أضعاف عدد خلايا جسمه، كما أن عدد جينات هذه الكائنات الدقيقة يزيد ١٥٠ ضعفاً عن عدد جينات خلايا الإنسان.

في عام ٢٠٠٠م تنبأ محررو مجلة "Science" بأن "أبحاث الميكروبات البشرية ستصبح موضوعاً ساخناً جديداً في جميع أنحاء العالم". وفعلاً في عام ٢٠٠٧م أطلق المعهد الوطني الأمريكي للصحة مشروع "الميكروبيوم البشري"، وبعد عام واحد فقط، أطلق الاتحاد الأوروبي

تمويل مشروع مخصص "لعلم الميتاجينوم" في الجهاز المعوي البشري. وأخيراً، في عام ٢٠٠٩م بدأ الاتحاد الدولي للميكروبات البشرية يستكشف العلاقة بين الميكروبات الحيوية وصحة الإنسان والمرض.

ومنذ ذلك الحين، تم إنتاج كمية هائلة من البيانات، خاصة حول الميكروبات المعوية. وفي هذا المقال نحاول كشف اللثام عن الحياة في المعدة، والعوامل المؤثرة في تكويناتها وعلاقة بعضها

ببعض، والعدوى المحتملة وتفاعلها مع بعضها. في عام ١٩٨٢م اكتشف "Robin Warren" و"Barry Marshall" سلالة بكتيرية نامية في المعدة،

سُميت آنذاك *Campylobacter Pyloridis*،

وبذلك هدمًا عقيدة "المعدة العقيمة".

وبعد عامين أُعيد تسمية هذه البكتيريا

بـ "*Helicobacter pylori*" والمعروفة

باسمها الدارج "جرثومة المعدة" التي

تستعمر الغشاء المخاطي للمعدة وتدمره

من خلال آلياتها البكتيرية. تنجو بكتيري

"*H. Pylori*" من حموضة المعدة التي لا تُطاق

ولا تُحتمل، بإنتاجها أنزيم اليورياز الذي يحلل اليوريا

إلى الأمونيا التي تعمل على تحييد تأثير حمض المعدة

عالي التركيز (تخفيف تركيز حموضة المعدة)،

وبالتالي تتمكن البكتيريا من اختراق

الطبقة المخاطية، واستعمار الطبقة

الظهارية، وتعزيز الاستجابة الالتهابية

للمعدة التي تُلحق الضرر بالغشاء

المخاطي للمعدة، مما يؤدي إلى

التهابها المزمن لدى غالبية الأشخاص

المصابين، أو إلى قرحة هضمية في أقل

من ١٠٪ منهم، أو ظهور أورام خبيثة في

المعدة في أقل من ١٪ من المصابين.

### سلالات بكتيرية تستوطن المعدة

قبل أشهر قليلة من اكتشاف بكتيريا جرثومة

المعدة (*H. Pylori*)، أي في عام ١٩٨١م

ذكرت مجلة "The Lancet" أن عددًا

كبيرًا من السلالات البكتيرية المقاومة

للأحماض يمكن اكتشافها في المعدة،

ومن بينها *Streptococcus*, *Neisseria* and

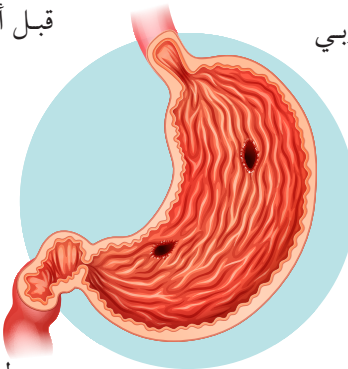
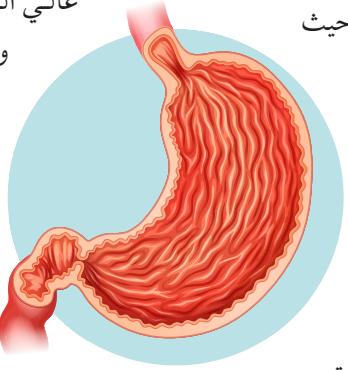
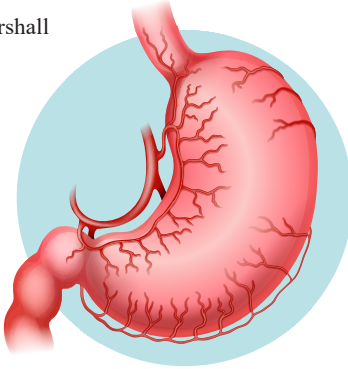
*Lactobacillus*، لكن وجود هذه البكتيريا

ليس مفاجئًا؛ فالمعدة تتعرض للعديد

من أنواع البكتيريا القادمة من تجويف الفم

أو ارتجاع البكتيريا من الإثني عشر. تم وصف أكثر

من ٦٥٪ من الأنماط الميكروبية التي تم تعريفها في





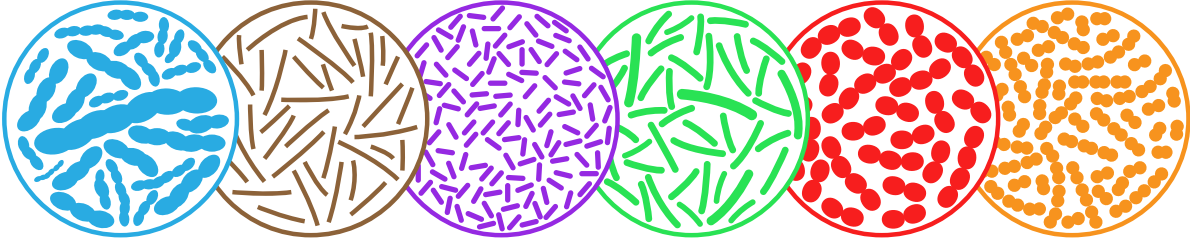
المعدة، مصدرها الفم. وبالتالي فإن أنواع البكتيريا مثل "Veillonella" و "Lactobacillus" و "Clostridium" الموجودة في عصير المعدة، قد تكون عابرة فقط وليست مقيمة. تقوم هذه البكتيريا العابرة بإنشاء مستعمرات صغيرة لفترات قصيرة من الزمن، دون احتلال الغشاء المخاطي في المعدة، ولا تتفاعل مع العائل المضيف، ومع ذلك، هناك شك ما إذا كانت البكتيريا الأخرى غير جرثومة المعدة تستعمر الغشاء المخاطي في المعدة، وتتفاعل مع العائل المضيف عن طريق اختراق الطبقة المخاطية السميكة أم لا.. وبالتالي فإن دراسة عصارة المعدة وحدها للكشف عن وجود البكتيريا ليست حاسمة، بل قد تقلل من وجود المجتمع البكتيري الحقيقي -كمًا ونوعًا- مقارنة بالغشاء المخاطي. وبالرغم من أن الاجناس البكتيرية "Firmicutes" و "Bacteroidetes" و "Actinobacteria" هي التي تهيمن على عينات السوائل المعدية، إلا أن "Firmicutes" و "Proteobacteria" هي الشعب الأكثر وجودًا في عينات الغشاء المخاطي في المعدة. بالإضافة إلى ذلك، فإن تحديد السلالات البكتيرية بالطرق التقليدية القائمة على زرع العينة على بيئات متخصصة، يوفر صورة غير كاملة ومتحيزة للتنوع البيولوجي للميكروبات المعدية، لأن أكثر من ٨٠٪ من الكائنات الحية الدقيقة غير قابلة للنمو بهذه الطريقة. في الآونة الأخيرة، تم تطوير طرق جزيئية لتحديد الأنواع البكتيرية تعتمد على الحمض النووي (RNA) واستنساخ وتسلسل الحمض النووي الريبوزي (rDNA) التي سهلت تحديد وتصنيف البكتيريا المعدية. في عام ٢٠٠٦م كانت معدة ٢٣ متطوعًا بالغًا صحيًا، على موعد مع أول تحليل لبطانها المخاطية "Mucosa" باستخدام التحليل الجزيئي، حيث تم تعريف ١٠٥٦ سلالة ميكروبية ليس منها جرثومة المعدة، تنتمي إلى ٢٧ نوعًا ميكروبيًا، مشتقة من ٥ أجناس تستوطن الطبقة المخاطية، وهي "Streptococcus, Prevotella, Rothia, Fuso" وبعد عدة سنوات تم تحليل المحتوى الميكروبي للمعدة لـ ١٠ أصحاب بالغين آخرين، تبين سيادة ٥ أجناس، وهي "Streptococcus, Prevotella, Neisseriae, Haemophilus and Porphyromonas"

يتبعها ١٢٢٣ سلالة ليس منها جرثومة المعدة. في عام ٢٠١٣م تم تحديد ٥ عائلات سائدة في المعدة، وهي "Prevotella, Streptococcus, Veillonella, Rothia, Pasturellaceae" يتبعها مئات الأنواع. ومع دراسة عامل اختلاف بيئة وجنسية الأشخاص (الأمريكية، الأفريقية، والإسبانية، والصينية، والأوروبية)، تم عزل ٣ أجناس بكتيرية وهي "Streptococcus, Propionibacterium and Lactobacillus".

### العوامل المؤثرة في التكوين الميكروبي للمعدة

يخضع المحتوى الميكروبي للمعدة لتأثير عدة عوامل، أهمها النظم والعادات الغذائية والأدوية المتناولة والحالة الصحية للغشاء المخاطي للمعدة، لذلك فإن المحتوى الحيوي للمعدة دومًا في حالة ديناميكية متغيرة، بما في ذلك وجود جرثومة المعدة وأعدادها، إلا أنه لا يوجد سوى عدد قليل من الأدلة، يعتمد بشكل أساسي على دراسات النماذج الحيوانية، التي تتناول آثار النظام الغذائي على مكون الكائنات الحية الدقيقة في المعدة.

ولقد أظهرت دراسة أجريت على الجسم الحي، مستويات أعلى من إجمالي البكتيريا الهوائية واللاهوائية الكلية و "Lactobacilli" في معدة الفئران التي تم تغذيتها بنظام غذائي غير منقى (أغذية مشتقة من مصدر طبيعي)، مقارنة بالفئران التي تم تغذيتها على نظام غذائي منقى (أغذية مُنقاة)، ترتبط هذه الزيادة بمستويات أقل من مستقبلات "Toll-like (TLR2) mRNA" في المعدة. كما يؤثر كل من الاستخدام طويل الأمد لمثبطات مضخة البروتون (PPIs) ومضادات H2 والتهاب المعدة الضموري، على مكونات الكائنات الحية الدقيقة في المعدة. وهذا ليس مفاجئًا، نظرًا لأن الكائنات الحية الدقيقة في المعدة تتأثر بشدة بإفراز حمض المعدة. لذلك لوحظ حدوث فرط نمو بكتيري عندما تقل حموضة المعدة، ويرتفع الرقم الهيدروجيني للعصير المعدي من ١,٥ إلى ٣,٨ أو أكثر. غالبية هذه الأنواع البكتيرية تكون كائنات شبيهة بالمبيضات الفموية (سلاق الفم)، وكذلك بكتريا البراز، وذلك في المرضى الذين يتلقون علاج مثبطات مضخة البروتون بهدف تقليل حموضة المعدة مقارنة



أعداد جنس "Lactobacillus" النافعة أعلى في المرضى المصابين بالجرثومة مقارنة بالأشخاص غير المصابين -وهو أمر مُحير للغاية- مما أدى إلى حماية الأمعاء البشرية من الاستعمار الجرثومي، من خلال الحفاظ على حاجز الأمعاء.

وفي دراسة تمت في ٢٠١٨م وُجد أن المصابين بجرثومة المعدة بدرجة محدودة، أظهرت نسبة متزايدة من بكتيريا "L. Acidophilus" (المفيدة) مقارنة بالأفراد غير المصابين بسبب قمع إفراز حمض المعدة عن طريق جرثومة المعدة بما تفرزه من أنزيم اليورياز، وقد أُبلغ عن وجود وفرة عالية من "Lactobacillus" النافعة في المرضى المصابين بجرثومة المعدة والذين يعانون من التهاب المعدة الضموري الحاد، مقارنة بالمرضى المصابين بالتهاب المعدة الضموري الخفيف أو بدون التهاب المعدة، مما يدل على تأثير الكائنات الحية الدقيقة في المعدة وفقاً لشدة الأعراض.

يمكن التحكم في العلاقة بين جرثومة المعدة والميكروبات المعوية الأخرى من خلال آليات متعددة، مثل عوامل الضراوة، وتعديل حموضة المعدة، والاستجابات المناعية للمضيف، والمنافسة بينهما. أظهرت السلالات المقاومة للبكتيريا الحلزونية اتجاهًا متزايدًا للتنوع والتساوي مقارنة بالسلالات الحساسة. انخفضت وفرة السلالات المقاومة مع زيادة تعايش البكتيريا المسببة للأمراض. كما ارتبطت مقاومة جرثومة المعدة بالتنوع المخصب لتكوين الميكروبيوم المعدي. في الختام، ما كان لهذه الكائنات المجهرية أن تسكن وتستقر وتتكاثر في هذه البيئة شديدة القسوة (المعدة)، إلا بما جبلها الله عليه، وبما منحها من قدرة فائقة يفقدها البشر، قدرة نقف أمامها عاجزين. ■

\*) أستاذ علوم الأعذية / مصر.

بالمرضى الذين يتلقون مضادات H2 والأشخاص الخاضعين للمراقبة غير المعالجين. وثبت أن العلاج لمدة أسبوعين بمشبطات مضخة البروتون، يقلل إفراز حمض المعدة بنسبة ٧٥٪، وكان هذا كافيًا للسماح بالاستعمار البكتيري للمعدة لدى متطوعين أصحاء. أما استخدام ميراكول (٤٠ ملغ/يوم) لمدة ٣ أشهر، فيسبب فرط نمو بكتيريا المعدة في ١٠ من إجمالي ٣٠ مريضًا، مقارنة مع ١ من ١٠ كمجموعة قياسية. ومع ذلك، بعد ١٤ يومًا فقط من العلاج بمشبطات مضخة البروتون (أوميراكول ٣٠ ملغ/يوم)، ارتفع العدد الإجمالي للبكتيريا في المعدة إلى مستوى ملحوظ.

### المضادات الحيوية

ثبت بما لا يدع مجالاً للشك، أن المضادات الحيوية تلعب دورًا سلبيًا على البنية الطبيعية للمكون الميكروبي للمعدة، وأول ما تخسره المعدة البكتيريا النافعة "Lactobacilli"، كما يعزز ذلك زيادة ملحوظة في أعداد الخمائر غير المرغوبة، كما أن العلاج بـ "Cefoperazone" في الإنسان، يسبب تغيرات طويلة المدى في الكائنات الحية الدقيقة في المعدة، مثل انخفاض كبير في عدد "Lactobacilli" وفرط نمو "Enterococci" غير المرغوبة.

### بين جرثومة المعدة والتركيب الميكروبي للمعدة

أظهرت دراسات النماذج الحيوانية أن الإصابة بجرثومة المعدة طويلة المدى، تؤثر على البنية الميكروبية للمعدة، حيث تُحدث خللاً في توازن البكتيريا المتعايشة في الغشاء المخاطي في المعدة، بالإضافة إلى أنها أحدثت تغيرات ميكروبية في الأمعاء البشرية كذلك. فإنها تؤثر على التركيب الميكروبي والتنوع في الغشاء المخاطي في المعدة أكثر من تأثيرها على عصير المعدة والبراز. كانت نتائج الإصابة بجرثومة المعدة فيما يتعلق بالتنوع البكتيري، مثيرة للجدل؛ حيث كانت



## متلازمة المحتال

أحياناً يشعر البعض بأنهم مزيفون أو محتالون، سواء في عملهم أو حياتهم الشخصية أو في دراستهم إذا كانوا طلاباً. يُعرف هذا الشعور في علم النفس باسم "متلازمة المحتال" (Impostor Syndrome) أو "الاحتياالية" (Impostorism). يفسر المختصون هذه الظاهرة بأنها الميل إلى الاعتقاد بأن نجاحك غير مستحق وأن الآخرين سيكتشفون يوماً ما أنك محتال، ويستمر هذا الشعور حتى عندما تشير الأدلة الملموسة -مثل الدرجات العلمية أو الجوائز- إلى أنك تستحق إنجازاتك.

غالبًا ما يميل المصاب بمتلازمة الاحتياال إلى تبرير مكانته ونجاحه بطرق تقلل من قيمتها، حيث يفسر حصوله على وظيفة مرموقة أو معدل تراكمي مرتفع في الدراسة، على أنه مجرد مسألة حظ. ويشير الباحثون إلى أن هذه الظاهرة لا تقتصر على الحياة الدراسية والعملية فحسب، بل يمكن ملاحظتها أيضاً في الحياة الرومانسية والعائلية، مثل الزواج والأبوة، أو حتى في الهوايات.

مع ذلك، يرى العلماء أن متلازمة المحتال ليست مرضاً عقلياً يمكن تشخيصه، بل هي تشوه معرفي حدده عالم النفس "سوزان إيمز" و"بولين روز كلانس" في السبعينيات؛ فقد كان يُعتقد في البداية أن هذه الظاهرة تؤثر فقط على النساء، إلا أن الأبحاث أظهرت أن الرجال أيضاً يمكن أن يتعرضوا لظاهرة المحتال. تشير تقديرات مختلفة إلى أن ما يصل إلى ٧٠-٨٠ بالمائة منا، قد يتعرضون لمتلازمة المحتال في مرحلة ما من حياتنا.

### متى ظهر هذا المصطلح؟

ظهر مصطلح متلازمة المحتال لأول مرة في عام ١٩٧٨م في مقالة بعنوان "متلازمة المحتال في النساء ذوات الإنجازات الكبيرة: الديناميكية والتدخل العلاجي" للدكتورة "بولين آر. كلانس" والدكتورة "سوزان أ. إيمز". عرّفت كلانس وإيمز ظاهرة المحتال بأنها معاناة الفرد من التصور الذاتي للزيف الثقافي. فقد قام الباحثون بدراسة انتشار هذه التجربة، من خلال مقابلة عينة من ١٥٠ امرأة ناجحة مهنيًا، ومعرّفت بهن رسميًا من قبل زملائهن، وأظهرن إنجازات أكاديمية بارزة عبر الشهادات ونتائج الاختبارات. ومع وجود أدلة واضحة على مصداقية إنجازاتهن، فقد افتقرت هؤلاء النساء إلى الاعتراف الداخلي بها، حيث فسرن نجاحهن بأنه حظ، واعتقدن أن الآخرين يبالغون في تقدير ذكائهن وقدراتهن.

أشارت "كلانس" و"إيمز" إلى أن هذا الإطار العقلي لظاهرة المحتال قد تطور من عدة عوامل، مثل القوالب المتعلقة بالنوع (ذكر أو أنثى)، والديناميكيات العائلية المبكرة، والثقافة، ونمط الإسناد. ووجد الباحثون أن النساء اللاتي يعانين من متلازمة المحتال يظهرن أعراضاً متعلقة بالاكتمال، والقلق المعمم، وضعف الثقة بالنفس.

وفي مقالتهما لعام ١٩٧٨م، صرحت "كلانس" و"إيمز" -بالاعتماد على تجربتهما السريرية- بأن ظاهرة المحتال كانت أقل شيوعاً عند الرجال، وأشارتا إلى الحاجة لإجراء مزيد من الأبحاث لتحديد آثار هذه الظاهرة على الرجال. وبعد الإعلان في عام ١٩٧٨م، اكتشفت أبحاث لاحقة أن هذه التجربة تظهر في ديموغرافيات أخرى خارج نطاق النساء الناجحات ذوات الإنجازات الكبيرة.

### آثار متلازمة المحتال

على الرغم من انتشار متلازمة المحتال على نطاق واسع، فإن الأشخاص الذين يعانون منها قد يشعرون بالعزلة؛ حيث لا يشارك الأفراد عادةً تجاربهم المحتملة، لأن جزءاً من هذا التشوه المعرفي يتضمن الخوف من أن يدرك الآخرون أنك غير مستحق أو غير كفء، وبدلاً من ذلك، من المرجح أن يعانون في صمت.

ويمكن لمتلازمة المحتال أن تؤثر على عديد من جوانب الحياة؛ ففي الأوساط الأكاديمية، قد تشعر أنك بحاجة إلى بذل جهد مضاعف لتتأقلم، وفي العمل، يمكن أن يؤدي الخوف من أن يُنظر إليك كمحتال إلى رفض الترقيات، مما يعيق نمو المهني. وبالمثل، في الهوايات، يمكن أن يمنعك الخوف من الفشل من تجربة أشياء جديدة، مثل الانضمام إلى فريق رياضي أو تجربة حرفة جديدة أو مساع إبداعية، بل في العلاقات الشخصية قد تشعر أنك لا تستحق حب شريكك، مما يدفعك إلى البحث المستمر عن الطمأنينة، وهو ما قد يضع ضغطاً إضافياً على العلاقة، وإذا كنت أحد الوالدين وتعاني من متلازمة المحتال، فقد تقارن نفسك بآباء آخرين بشكل غير مفضل، أو تضع توقعات عالية بشكل غير واقعي وتفرضها على أطفالك أو حتى على شريكك.

كما يمكن أن تسبب متلازمة المحتال أيضاً مشكلة نظامية، فعلى سبيل المثال، إذا كان من يعاني منها امرأة، أو من أقلية عرقية، أو جزءاً من مجموعة مهمشة أخرى، فإن مشاعر الشك الذاتي وأوجه القصور الملحوظة، يمكن أن تثبط عزيمته عن إسماع صوته أو متابعة الفرص في الكلية أو مكان العمل، وهذا يمكن أن يحد من التنوع ويعيق انتشار الأفكار ووجهات النظر الجديدة.

### متلازمة المحتال والقلق أو الاكتمال

غالباً ما ترافق متلازمة المحتال مع الاكتمال والقلق، إذ يمكن أن يجعل الاكتمال من الصعب على المصاب بها الاعتراف بانتصاراته ونقاط قوته، في حين أن القلق يمكن أن يدفعه إلى التركيز بشكل مفرط على كيفية نظر الآخرين إليك، وقد يزيد الفشل في الوصول إلى معاييره العالية من مشاعر القلق أو اليأس.

**التعامل مع متلازمة المحتال يتطلب الاعتراف  
بالمشكلة، والتغيير في النمط الفكري،  
والاستعانة بالدعم الاجتماعي والمساعدة  
الخارجية، بالإضافة إلى تحديد الأهداف  
والتوجيه نحوها بشكل واقعي وإيجابي.**

حذاء

إكمال المهام وسهولها، فهو يعتقد أنه يجب أن يتفوق دون جهد كبير أو تدريب، ويشعر بالإحباط عندما يواجه مهاماً تتطلب تطوير المهارات بصبر أو التعلم من خلال الفشل المتكرر.

**العازف المنفرد:** صاحب هذا النوع يعتقد أن طلب المساعدة هو علامة على عدم الكفاءة، إذ يسعى لإثبات جدارته من خلال العمل بشكل مستقل، ويجد صعوبة في قبول الدعم من الآخرين، وإذا وجد أن عليه طلب المساعدة أو تحقيق النجاح من خلال التعاون، فقد يشعر أن الإنجاز "لا يهم".

**الخبير:** هو من يركز بشكل كبير على المعرفة، حيث يشعر أنه يجب عليه معرفة كل شيء عن موضوع ما، قبل البدء في مهمة أو متابعة فرصة جديدة، ومن ثم يسعى للحصول على درجات وشهادات متعددة لضمان أنه الأكثر معرفة، وأكثر ما يخشاه المواقف والتي قد يضطر فيها لإظهار معرفته "المحدودة".

### ما العوامل التي تسهم في متلازمة المحتال؟

هناك عوامل متعددة يمكن أن تسهم في الشعور بالنقص، بما في ذلك شخصية الإنسان وتربيته وبيئة العمل.

### فمن العوامل الشخصية

١- الاضطرابات العصبية: تظهر الأبحاث أن الأشخاص الذين يعانون من اضطراب عصبي شديد -أي الانزعاج بسهولة أو العرضة للقلق- هم أكثر عرضة للإصابة بمتلازمة المحتال. وينطبق الشيء نفسه على الأشخاص الذين يسعون إلى الكمال، إذ يرتبط تدني احترام الذات أيضاً بزيادة خطر مشاعر متلازمة المحتال.

٢- أسلوب التربية والأبوة: يمكن لعلاقة الشخص المبكرة مع والديه، أن تلعب دوراً في تطور هذه

هذا الربط بين متلازمة المحتال والاضطرابات النفسية يعقد الأمور بشكل أكبر، حيث يغذي كل منهما الآخر؛ فالإكتئاب يمكن أن يعزز الشعور بعدم الجدارة، مما يجعل من الصعب الاحتفال بالنجاحات أو الاعتراف بالإنجازات الشخصية، ومن ناحية أخرى، يدفع القلق الأفراد إلى الانشغال بتصورات الآخرين عنهم، مما يزيد من الضغط لتحقيق معايير مثالية غالباً ما تكون غير واقعية، وعندما لا يتمكن الشخص من تحقيق هذه المعايير، يمكن أن تتفاقم مشاعر الفشل والقلق، مما يؤدي إلى دورة مستمرة من الشك الذاتي والإحساس بالدونية.

### خمسة أنواع من متلازمة المحتال

مع أن متلازمة المحتال تتعلق دائماً بالمعايير العالية، فإن الأشخاص الذين يعانون منها لا يتبنون نفس العقلية بالضبط، إذ يلتزم الأفراد بمعايير مختلفة ويعرفون "الكفاءة" بطرق متنوعة.

في كتابها "الأفكار السرية للنساء الناجحات"، تحدد "فاليري يونغ" خمسة أشكال لمتلازمة المحتال هي: الكمال، وفوق طاقة البشر، والعبقرية الطبيعية، والعازف المنفرد، والخبير.

قد لا يتناسب الجميع بدقة مع فئة واحدة، وربما يجد الإنسان سمات تنتمي لأكثر من نوع فرعي واحد، ومع ذلك، يمكن أن يساعد الفهم الأساسي لهذه الأنواع الفرعية، على التعرف على الأفكار والمعتقدات الأساسية التي تسهم في الشعور بالنقص ومعالجتها.

**الكمالي:** هو شخص يضع معايير غير واقعية عالية لنفسه، وأحياناً للآخرين أيضاً، فأى شيء أقل من الكمال يُعتبر بالنسبة له فشلاً، ولذلك يميل غالباً إلى انتقاد أدائه بشدة والشك في جودة عمله.

**الإنسان الحارق:** يعتبر عكس الكمالي الذي يركز على مجال واحد، إذ يسعى صاحب هذا النوع إلى إتقان أدوار متعددة، حيث يركز على كمية المهام التي يمكنه التعامل معها، مما يجعله يتحمل مسؤوليات مفرطة ويُرهِق نفسه في العملية.

**العبقرية بالفطرة:** هذا النوع -بالإضافة إلى وضعه توقعات عالية غير واقعية- يقيس نجاحه بمدى سرعة

المتلازمة؛ على سبيل المثال، إذا كان الأبوان مفرطين في الحماية أو مسيطرين، فقد يكون الابن أكثر عرضة للخطر، وبالمثل، يكون الأمر أكثر شيوعاً عندما تعطي الأسرة أولوية عالية للإنجاز، أو عندما يكون الآباء غير متسقين في كيفية انتقاد أطفالهم أو مدحهم.

٣- الاختلاف عن الأقران: قد يؤدي كون الإنسان مختلفاً عن أقرانه، إلى زيادة قابلية تعرضه لمشاعر المحتال؛ على سبيل المثال، في مكان العمل أو الفصل الدراسي، قد يختلف عمن حوله من حيث العرق أو الجنس أو العمر أو الحالة الاجتماعية والاقتصادية، ولهذا السبب تبدو متلازمة المحتال أكثر شيوعاً عند النساء والأقليات.

٤- وسائل التواصل الاجتماعي: تشير العديد من الدراسات إلى أن وسائل التواصل الاجتماعي يمكن أن تؤثر على ثقة الشخص بنفسه واحترامه لذاته، فمن السهل أن يحكم على نفسه بقسوة عندما ينظر إلى "شريط مميز" من مغامرات زملائه ونجاحاتهم وإنجازاتهم. ففي استطلاع أجري عام ٢٠٢٣م لمستخدمي LinkedIn، وجد أن استخدام النظام الأساسي وتصفح منشورات الآخرين، أثار مشاعر وأفكاراً تتعلق بهذه المتلازمة، ومن الممكن أن تؤدي هذه الأفكار -بعد ذلك- إلى مشاعر سلبية مثل القلق واليأس.

٥- أما العوامل البيئية فمنها: البيئة الأكاديمية، إذ يبدو أن متلازمة المحتال شائعة جداً في الأوساط الأكاديمية، وخاصة في برامج الدكتوراه. فمن الممكن أن تولد هذه الأنواع من البيئات، ثقافة القدرة التنافسية. كذلك في عالم الأعمال، إذ قد يشعر الأفراد المهمشون بعدم استحقاقهم عندما يلاحظون أن قيادة الشركة يهيمن عليها أشخاص لا يشبهونهم؛ على سبيل المثال، قد تشعر المرأة بمتلازمة المحتال عندما تكون محاطة بالقادة الذكور فقط.

### كيف نتعامل مع متلازمة المحتال؟

من أجل التعامل مع هذه المتلازمة، يمكن اتباع بعض النصائح:

أ- التوعية والاعتراف: اكتشاف أن الشخص يعاني من

هذه المشكلة هو الخطوة الأولى للتغلب عليها، وعليه حينها أن يتواصل مع المهنيين الصحيين للحصول على دعم ومشورة.

ب- تغيير النمط الفكري: إن محاولة تغيير الأفكار السلبية والمعتقدات الذاتية المدمرة إلى أفكار إيجابية ومفيدة، يسهم بدور كبير في علاج هذه الظاهرة، ومن ثم فعلى الشخص المعاني أن يقوم بممارسة التفكير الإيجابي وأن يسعى بجد لتعزيز ثقته بنفسه.

ج- التقليل من الكمالية: إذا لم تحقق الأحسن فيمكنك الاكتفاء بالحسن، لذا على الإنسان أن يتعلم كيف يتقبل النجاح دون الحاجة للكمال، وأن يتجنب الانغماس في الأفكار الكمالية التي قد تكون عائقاً أمام تقدمه.

د- الاستعانة بالدعم الخارجي: إن الاستعانة بالآخرين وطلب المساعدة منهم سواء كانوا أصدقاء أو محترفين، وكذلك استدعاء الدعم الاجتماعي والمشورة الخارجية، يمكن أن يكون ذا أثر كبير في التغلب على هذه المشكلة.

هـ- تحديد الأهداف والتوجيه نحوها: تحديد أهداف واقعية وقابلة للقياس، والحفاظ على التركيز عليها دون التفكير في الشكل المثالي، يلعب دوراً فعالاً في التغلب على المشاعر السلبية المتعلقة بهذه الظاهرة.

و- ممارسة الاسترخاء والتفكير الإيجابي: على الإنسان أن يمنح نفسه الوقت للراحة والاسترخاء، ويتعلم تقنيات التأمل والتفكير للتخلص من التوتر والقلق.

باختصار، التعامل مع متلازمة المحتال يتطلب الاعتراف بالمشكلة، والتغيير في النمط الفكري، والاستعانة بالدعم الاجتماعي والمساعدة الخارجية، بالإضافة إلى تحديد الأهداف والتوجيه نحوها بشكل واقعي وإيجابي.

وصدق المعصوم ﷺ إذ يقول: "المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خيرٍ، احرصْ على ما ينفعك، واستعنْ بالله، ولا تعجزْ، وإنْ أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ "لو" تفتخ عمل الشيطان" (رواه مسلم). ■

(٢) كاتب وباحث مصري.



## تحت الركام

مثلما يومض البرق تغير كل شيء حوله، الغبار يغطي صفحة وجهه بالكامل فلا يظهر منه إلا عيان ذاويتان يقاومان فيما يشبه التحدي انطباق الجفنين.. حاول تبين حقيقة الأمر لكن الذاكرة لم تسعفه.. عبثاً حاول رفع رأسه أو تحريك ساقه ويده، ولكنه شعر وكأنه مكبل منذ عهد رمسيس الثاني.. أطبق عليه الركام وحاصره الغبار المتطاير.. تحسس ما حوله لعله يهتدي لمنفذ يتنسم منه عبير الحياة.. بهر عينيه الكليلتين بصيص ضوء تسلل عبر فجوة صغيرة لتكشف عن خليط من الألوان الداكنة التي تداخلت حتى غدت كأنها لون واحد هو السواد.

كان الوقت فجرًا حين ارتج البيت وتهاوت أركانه، في لمح البصر اختلت موازين الأرض فابتلعت اللجة الساحل. كان الدوي مفاجئًا، وما هي إلا لحظات حتى استوى البيت بالأرض. هي القيامة إذن، وهو الآن داخل قبره يتهبأ

للسؤال. حين استرجع وعيه انتابه فزع شديد، فأطلق صرخات متلاحقة جرحت أذن الفجر المتنفس؛ أجفل الشجر والحجر وأنت الصخور، غاص في أعماقه ينشد الخلاص فأعوزته الحيلة، ومثلما يلقي الجندي المحاصر سلاحه، استسلم لحبات الغبار التي تغلق منافذ الهواء في جسده الجريح وروحه المثقلة بغصة الخذلان.. كان الفقد فادحاً يقتلع السعال من صدره ليخرج من الغبار ما كان داخلاً، فدخل ما كان خارجاً.

صوت الغربان يغطي المكان فيعم الصمت كل شيء.. الأمكنة والأزمنة والألسن المعتقلة.. خيل إليه أنه سمع أصواتاً عربية تبتلعها أصوات ترطن بلغة أعجمية.. أحس بالدوار يثقله إلى الأرض.. اتسعت حدقتا عينيه حين انتبه فجأة إلى يد رخوة تتحسس خصلات شعره المغبرة، استبد به الهلع فعاود الصراخ.. تذكر خطيب الجمعة البارحة وهو يقول "إن الأموات يتزاورون"، أطبق جفنيه على عينيه بكل ما أوتي من قوة، وضم أصابعه المشنجة بعنف إلى كفه، وكمرهن يلعب آخر أوراقه أزاح اليد الممتدة إلى رأسه والذعر ينهشه.. تناهى إليه صوت ضعيف صخّ أذنه.. الصوت يقوى أكثر فأكثر، وهو الآن أوضح من ذي قبل: محمد!

برقت عيناه وسط الظلام، وخمّن أنّ خطأ ما وقع فدفنوه حياً.. ها هو الصوت ينطلق من جديد، يدغدغ أذنه المشروخة ويتسلل عبر وريد الحياة ليلا مس شغاف قلبه.. نعم هو الصوت نفسه، صوت أمه الحبيبة ابنة الحبيبة.. هكذا كان يحلو له أن يناديها قبل الفجعية، تعبيراً عن حبه الكبير لها ولجدته.. رفع رأسه فارتطم باللحد.. ما عاد الناس في هذه المدينة يتقنون صناعة اللحود، أو ما عاد لهم وقت للتفنن في إخراجها مصقولة كما المعتاد.

حاول تحريك أصابع رجله لكنها لا تستجيب، خيّل إليه أنه سمع أمه تناديه بصوتها الرخيم وقد غشيه الضعف فعبث بقوته.. حاول أن يبعث ذكرى ما قبل الانهيار؛ كان قبل برهة يسيرة يداعب أخاه أيمن، فكيف تدرج إلى هذا القبر الموحش دون أن يسمع من يبيكه، ومن غير أن يشعر بسكرات الموت التي كانت ذكرها تفسد عليه سكينته كلما تأمل لغز الموت.. كان يستلذ بألم خفيف

أن يغمض عينيه ويتخيل نفسه وقد زاغت رجله عن موطنها فسقط في جب سحيق.. كانت ذكرى الطفل ريان هناك في المغرب البعيد ما زالت تنكأ هواجسه وتربك شفثيه بالسؤال: كيف كان إحساس ريان وهو يخوض رحلة السقوط؟ كيف قضى ليلته الأولى؟ كيف كان يشعر وهو قابع في ذلك المكان القصي يعزف أنشودة الموت البطيء وحيداً ضعيفاً مهيض الجناح؟ نفس المصير مع فارق أن القبور هنا ضيقة للغاية، كان يراها حين يُشيع ذويه أكثر اتساعاً، ولحودها مستوية لا اعوجاج فيها ولا تنوعات.. كيف هان على أبيه أن يرى دافنيه يُهيلون عليه هذا المزيج من الحجارة والأتربة وشظايا الحديد التي أحدثت في جسده جروحاً مثل المدى.. كان في حالة بين الوهم والحقيقة.. ولما بلغ به العياء مبلغه، عفر وجهه في التراب، ولأمر ما مرّ أمام عينيه قول الله تعالى: ﴿مَنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه: ٥٥).. ربما قرأ هذه الآية مرات عديدة في أيامه العادية، ولكن هذه المرة أخذ يعيشها بحذافيرها.. ثم أغمض عينيه وقد ابتلعه صمت القبور.

عاد الصوت من جديد يرسم بين الحجارة والأتربة مسالكه، ويشق عناد الأرض وسكونها، ليروي ظمأ الطفولة وقد قُصفت في مهدها.. بلغه الصوت الشجي هذه المرة واضحاً وضوح الظلام المطبق على المكان، فنزّت عنه آهة مترددة تتعثر في حلقه وتنجس في لسانه.. فإذا بالهاتف يهتف: محمد! محمد! أنا أمك يا حبيبي، أسمعني يا قلب أمه؟ أجنبي يا حبيبي! أمك أنا يا ولدي.. نحن هنا أسفل ركام منزلنا.. أبناء عمك قادمون.. المعتصم قادم.. اصبر يا ولدي، فهّم لا يطيقون على الضيم صبراً.

لم يجبها إلا العدم يشكو للتراب الأسير جراح الخذلان البغيض، وانحدرت الشمس رويداً رويداً نحو المغيب، وزحف الظلام على صفحة الوجود شيئاً فشيئاً، فانطفأ الصوت الحاني وغارت الآهة الظمأى في مهاوي الظلام، دون أن تُسمع أطيبار الربيع أو تستثار غربان الخريف. ■

© كاتب وباحث وقاص / المغرب.





## رعاية المسنين فريضة إنسانية

الشيخوخة، هي المرحلة العمرية التي تبدأ فيها الوظائف العقلية والحسية للإنسان في التدهور بصورة أكثر وضوحاً مما كانت عليه في الفترات السابقة من العمر. وفي تلك المرحلة يحتاج الإنسان إلى رعاية إنسانية وطيبة أكثر، وتلك سنة الله في خلقه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (الروم: ٥٤).

والشيخوخة، مرحلة من مراحل العمر تبدأ من سنّ الخمسين فما فوق. وفي العصر الحديث بدأت المجتمعات الإنسانية تنظر باهتمام إلى كبار السن واحتياجاتهم، خاصة بعد زيادة عدد المسنين نتيجة زيادة متوسطات عمر الإنسان. فتمّ سنّ القوانين واللوائح التي تنظم حقوق



الإسلام يحرم كل أنواع العنف والإساءة إلى المسنِّ، واستبدالها بكل أنواع اللين والعطف الذي يميز المجتمع المسلم المترابط. وهكذا، أخذ الشرع الإسلامي السمح على كاهله، مهمة الرعاية للمسنين والتخفيف عليهم.

حزاه

المسنين وتطالب بها، وتقرر لهم الحماية والحق في العيش بكرامه.

حيث يُحتفل يوم ١٥ يونيو من كل عام، كـ"يوم عالمي للتوعية ضد تعنيف المسنين" منذ اعتماده رسميًا في الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ٢٠١١م. ففي هذا اليوم من كل عام، يعبر العالم بأسره عن معارضته للمعاناة التي تقع على الجيل الأكبر سنًا.

والثابت تاريخيًا أن الإسلام دين الرحمة له السبق في هذا الميدان منذ بداية ظهوره. فلقد أمرنا الإسلام أن نَبْرَ والدينا ونرعاهما، وأن نحفظ كرامتهما، وأن نهتم بهما امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالُوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۗ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣-٢٤).

إن رعاية المسنين في الإسلام تستهدف فتح أبواب المشاركة الإيجابية للمسنين في الحياة العامة ما داموا قادرين على ذلك، أما إذا عجزوا فمن الطبيعي أن تقوم الأسرة برعايتهم؛ فعن أبي موسى الأشعري ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "إن من إجلال الله إكرام ذي الشَّيْبَةِ



المسلم" (رواه أبو داود)، أي إن من تجيل الله وتعظيمه وأداء حقه، تعظيم وتوقير الشيخ الكبير في السن. من هنا ينطلق منهج رعاية المسنين في الإسلام من منهج سامق، بعيد عن التمييز بين فئات المسنين على أساس الجنس أو اللون أو الدين.. فالإسلام لا يقر قواعد الرعاية للمسنين من منطلق عنصري أو عرقي، والمسلم يرحم الناس كافة، والأطفال كافة والمسنين كافة، بعَجْرهم وبُجْرهم، مسلمهم وغير مسلمهم.

وقد حدد الرسول ﷺ -كما ذكرنا آنفًا- صور الرعاية بالمسنين في قوله: "إن من إجلال الله إكرام ذي الشَّيْبَةِ المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط" (رواه أبو داود)؛ فجمع الرسول ﷺ بين المسن وحامل القرآن والسلطان، وقدم المسن وكأنه يقول وقَرُّ المسن كما توقر السلطان والرئيس والحاكم، وعظَّم المسن كما تعظم حامل القرآن الحاذق. وتحت لفظ "إكرام ذي الشَّيْبَةِ المسلم" تأتي كل صور الرعاية والإكرام للمسنين، كالرعاية الصحية، والرعاية النفسية، والرعاية الاجتماعية والاقتصادية، وغيرها من صور العناية التي ينادي بها المجتمع الدولي الآن.

والرسول ﷺ يقرر النماذج العملية البسيطة فيما يتعلق بجوانب الذوقيات الاجتماعية العامة حينما قال: "يُسَلِّم الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ" (رواه البخاري)؛ فالبند الأول في "الإتيكيت الإسلامي" الوارد في الحديث، هو مبادرة الصغير بالتسليم على الكبير وتوقيره.

وقال ﷺ: "أمرني جبريل أن أُكَبِّرَ" (رواه الطبراني)، وهذه

hiragate.com



الترمذي، وفي الحديث وردت لفظة "يوقر كبيرنا" ولم يقل ﷺ "يوقر الكبير" ليقرر أن الاعتداء على الكبير بالقول أو الفعل أو الإشارة، هو اعتداء على جناب رسول الله ﷺ الذي نسب المسن إليه وانتسب إليه، بقوله "كبيرنا".

والإسلام يحرم كل أنواع العنف والإساءة إلى المسن بكافة أنواعها، واستبدالها بكل أنواع اللين والعطف الذي يميز المجتمع المسلم المترابط. وهكذا أخذ الشرع الإسلامي السماح على كاهله مهمة الرعاية للمسنين، والتخفيف عليهم.

وختامًا، يمكن أن نجمل رعاية الإسلام للمسنين في عدة نقاط هي:

- مسؤولية المجتمع بكامله عن شيوخه ومسنيّه، علمًا بأن رعاية المسنين واجب عيني على الأنظمة والحكومات والشعوب، ويتمدد الواجب إلى حشد الجهود الفردية والجماعية والرسمية وغير الرسمية لرعاية المسنين.

- الرعاية الكاملة والشاملة للمسن صحيًا ونفسيًا وعقليًا واجتماعيًا، وغيرها من صور العناية، وقد جمعها اللفظ النبوي في جملته: "إكرام ذي الشيبة".

- توقيير المسنين في المعاملات الاجتماعية اليومية المختلفة.

- تقديم المسنين في وجوه الإكرام عامة كالإمامة والطعام والشراب.

- التخفيف عن المسنين في الأحكام الشرعية، ومراعاة الفتوى الشرعية لهم. ■

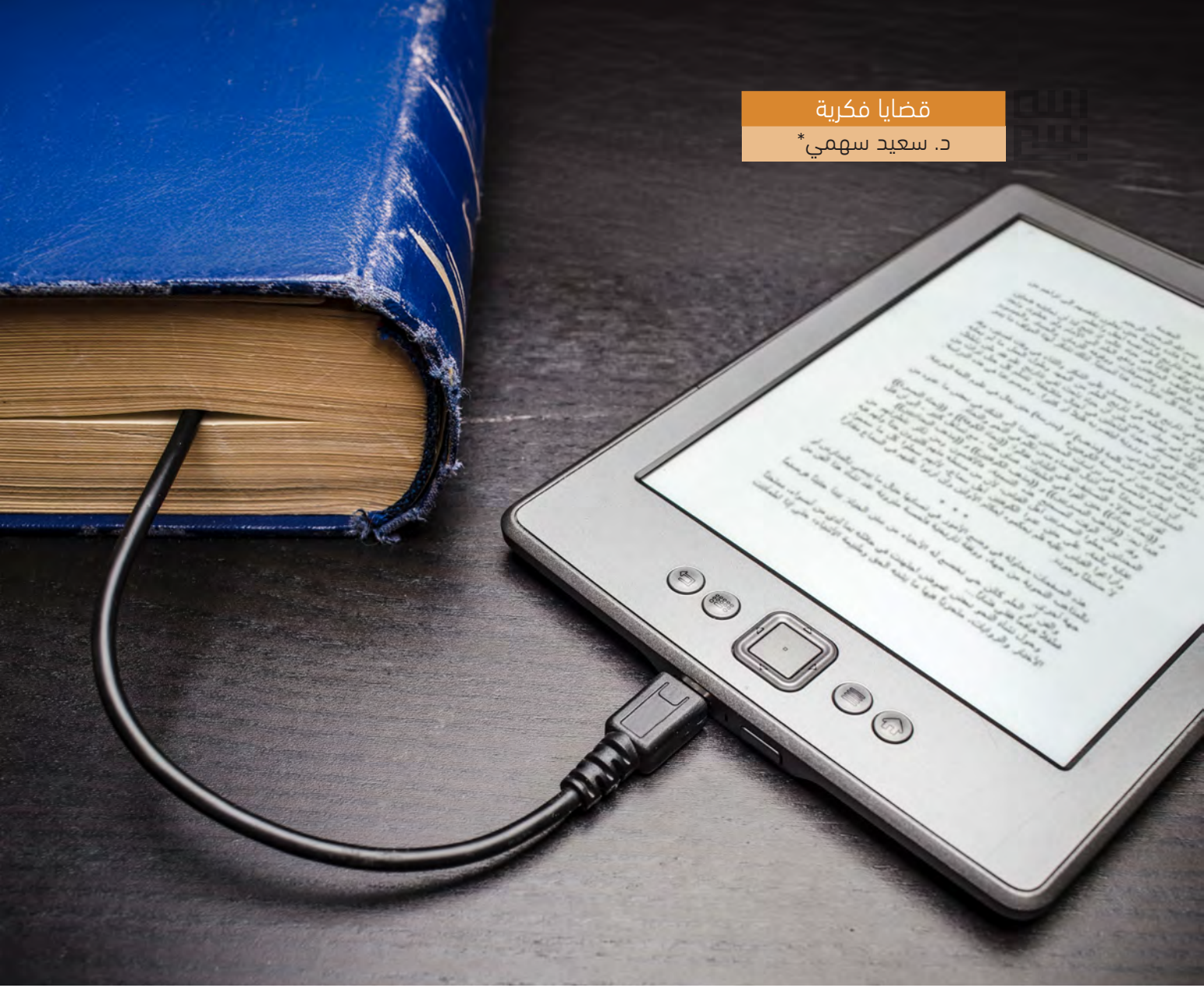
(\*) باحث في التراث العربي والإسلامي / مصر.

قاعدة عامة في الإسلام بأن يقدم الكبير والمسّن في وجوه الإكرام والتشريف عامة. كما أمر ﷺ بتقديم المسن في الإمامة، ففي الصحيح من حديث مالك بن الحويرث أن النبي ﷺ قال: "إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحذكم، وليؤمكم أكبركم" (رواه البخاري).

وفي الفرائض أجاز الإسلام للمسن أن يفطر في نهار رمضان -ويطعم- إذا شقّ عليه الصيام، وأن يصلي جالسًا إذا شقّ عليه القيام، وأن يصلي راقدًا إذا شقّ عليه الجلوس. ورخص للمسن أن يرسل من يحج عنه إن لم يستطع أن يقوم بأداء شعار وأركان الحج، وهكذا.

وفي إشارة أخرى إلى أساس أخلاقي آخر من أسس اهتمام الإسلام ورعايته للمسنين، أن النبي ﷺ كان يوصي أصحابه وقائدي جيوشه بقوله: "انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلًا ولا صغيرًا، ولا امرأة، ولا تعلقوا، وأصلحوا وأحسنوا، فإن الله يحب المحسنين" (رواه الترمذي).

والإسلام يؤكد أن المكان الأنسب والبيئة الأفضل لرعاية المسنين يتمثلان في الأسرة، اعتبارًا لقيمة تواجد كبار السن في الأسرة، سواء بالنسبة للمسنين أنفسهم أو بالنسبة لأعضاء أسرهم، وكذلك لما ينطوي عليه هذا التوجه من معان مستمدة من أوامر الإسلام بالإحسان بالوالدين وبرّهما، إحساسًا لهما بالتراحم والتعاطف، واعتبارًا لقيمة وجود كبار السن في الأسر كأساس لمناخ نفسي وجداني إيجابي، وتدريب لأعضاء الأسرة أبناء وأحفادًا على السمو الوجداني، وترقية المشاعر الإنسانية النبيلة، من خلال تفاعل أعضاء الأسرة، وفي ذلك يقول ﷺ: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا" (رواه



## الكتاب الرقمي بين التأييد والممانعة

تطرح الرقمية بما تفرضه من تحولات وإبدالات عميقة على جميع الأصعدة تساؤلات عدة، خاصة لدى الشعوب حديثة التعامل مع التكنولوجيا، أو التي ليست لديها ثقافة تكنولوجية ورقمية كافية. هذه الأسئلة أوجدت فريقين؛ فريقاً مؤيداً للرقمية لما تقدمه من خدمات جليلة للإنسان في عصر السرعة، وفريقاً ظل يمانع الرقمية كما ظل يتعامل بحذر مع التكنولوجيات الحديثة. ولعل من بين أهم المواضيع التي تثير اليوم تساؤلات عديدة من قبل المهتمين المثقفين، مشكل الكتاب الرقمي الذي صار شيئاً فشيئاً يعوّض الكتاب الورقي، حتى صار قبلة الباحث العلمي والقارئ النهم، بل حتى قراءة القرآن صارت تتم في كثير من الأحيان عبر المصاحف الرقمية<sup>(١)</sup>.

ت

**إن تطور الكتابة وحواملها من الوسائل البدائية إلى الوسائل التكنولوجية المتقدمة التي أنتجت الكتابة الرقمية، هو عنوان على تطور تمثلات الإنسان للعالم، وتطور مداركه نتيجة البحث العلمي المتواصل.**

حذاء

كل هذه المراحل تشكل مرحلة كبرى هي مرحلة ما قبل الدفتر، حيث سيظهر تمثيل الدفتر الذي يمكن أن يشكل كتاباً من خلال ظهور الألواح؛ ألواح الكتابة. ومن أشهر هذه الألواح، ألواح الطين الذي يشبه الآجور والذي يؤخذ أو يعجن نيباً ثم يكتب عليه ويطهى. ويرجع أول نص عثر عليه في هذا السياق، إلى ملحمة "غلغامش" للسومريين، كما استخدمه الرومان. وقد استمرت الكتابة على الألواح إلى عصور متقدمة، حيث يرجع آخر لوح إلى القرن الثامن عشر، وهو لوح خشبي، بل إن من إرث هذا اللوح ما يسمى الآن بـ"التابلت" (Tablet)، الآلة التي اتخذت شكلاً جديداً ومخالفاً تماماً.

واستعملت مصر أوراق البردي، حيث كان يتم لصق عدة أوراق مع بعضها البعض ويتم الضغط عليها، ثم يكتب النص الذي يتخذ شكلاً طويلاً في الغالب، فيما كان يسمى بـ"الرولو" الذي قد يصل ٤٠ متراً للنص الواحد<sup>(١)</sup>. وسيتم فيما بعد اختراع الأبجدية، الذي أحدث ففرة كبيرة في مجال الكتابة، أي اكتشاف عدد من الحروف يمكن التوليف بينها لتكوين عدد لا متناه من الكلمات، وهو اختراع يمكن قياسه اليوم باختراع الحاسوب، حيث سيعني هذا الاكتشاف انتقال الإنسان من التصوير والتجسيد إلى التجريد.

والواقع أن اكتشاف الكتابة سيدعو إلى نوع من المقاومة التي تشبه اليوم مقاومة البعض لاعتماد الحاسوب والكتابة الرقمية أداة للتوثيق والبيانات عوض المطبعة والكتاب. فقد كان سقراط من بين من قاوموا الكتابة، لأنه كان يتشبث بالقراءة والتعلم المبني على المشاهدة باعتباره فيلسوفاً مشاء، حيث سيعتبر الكتابة عملية خطيرة ستقضي على التفكير وتوحي -بحسبه- بأنها حية، غير أنك إذا خاطبتها لن تعيرك جواباً، ولا

لقد مرت الكتابة بمراحل متعددة إلى أن وصلت إلى ما هي عليه اليوم، حيث أصبحنا في عصر المعلومة نعيش مرحلة الأدب الرقمي والكتابة الرقمية، وعرفت مقاومات عدة على مستوى حواملها بالشكل نفسه الذي تعرفه اليوم، من خلال مقاومة النصوص الرقمية والكتاب الرقمي.

لقد تطور الإنسان عبر الزمن وتطورت وسائله وتعبيره، ومن أهم تلك الوسائل الكتابة وحواملها، والحامل أو السند (Support) هو ما يحمل المكتوب من كتاب وغيره، حيث إن الإنسان في البداية ابتكر الكتابة الصورية أو الكتابة بالصورة (Image)، أي المعتمدة على الرسوم حيث يتم رسم المعنى أو الشيء المعبر عنه. ومن ثم كان عدد الكلمات بعدد ما تعبر عنه، وكانت تلك العلاقة بين الدال والمدلول علاقة ضرورية، لأن الشكل (Forme) كان يعبر صورياً على المدلول كما هو الحال في بعض اللغات اليوم، التي لا زالت تحافظ على هذه النمطية كـ"الكانجي" (Kanji) في اللغة اليابانية.

ويرجع أول نص عثر عليه مرسوماً، إلى ٤٠ ألف سنة، علمًا بأن عمر الإنسان اليوم لا يزيد عن ١٠٠ ألف سنة حسب علم الجينات الوراثية (DNA)، وهو نص عثر عليه في الحضارة الآشورية التي عمرت آسيا، ويحمل رموزاً سحرية على اعتبار أن السحرة والمنجمين كانوا يستفردون بالكتابة ويمتلكون سلطتها، ويرجع إليهم الحاكم للتنبؤ بمصير البلاد في الأمور الصعبة.

ثم انتقل الإنسان من الرسوم إلى الكتابة الرمزية، ويرجع أول نص عثر عليه في الصين إلى حوالي ٧٠٠٠ سنة فقط، وهو نص كتب على درقة سلحفاة، وهو بدوره يومي -حسب الباحثين- إلى معلومات سحرية وتنبؤية. ويمكن القول إن عمر الكتابة الفعلي يعود إلى ٤٠٠٠ سنة، حيث تنقل الإنسان -قبل اكتشاف الورق- عبر

حوامل متعددة للكتابة، من عظام الحيوانات، وسعف النخيل والحجر والحريير والشجر.. وذلك في ثلاث مناطق رئيسية، هي الصين وبلاد ما بين الرافدين ومصر. ونظراً لتوفر الصين على الغابات الكثيفة اعتمدت لحاف الشجر، وفي بلاد الرافدين حيث يكثر الطين استعمل الطين للكتاب، ومصر التي تتوفر على دلتا النيل وفر لها أوراق البردي التي اتخذتها حاملاً للكتابة.

hiragate.com



سيتمكن كل من هبَّ ودبَّ من النشر والكتابة، ومن ثم تخريب العقول، وإيجاد الفوضى، وتشويه صورة الأدب.. ولذلك سيستدب بعض الأدباء والمفكرين لحماية الثقافة، ومنهم "موليير" في الكوميديا، و"راسين" في التراجيديا. هذا القمع القائم على الخوف من الكتابة الشعبية والكتابة المخالفة للسياق الجمعي وما أسموه فوضى الثقافة، دام في جميع الثقافات بما فيها العربية التي قامت بإحراق وإتلاف العديد من المؤلفات والكتب العظمى، لا سيما منها بعض الكتب الفلسفية والصوفية. واليوم فرض الحاسوب على الإنسان أن يتتبع طريقة جديدة للكتابة وهي الكتابة الرقمية، حيث أصبح الكل باستطاعته أن يكتب وينشر كيف شاء على الحاسوب، وأصبح من يمتلك حاسوبًا، شبيهًا بمن يمتلك مطبعة ودارًا للنشر، وأصبح بإمكانه أن ينشر ما نشره ويوجهه إلى جميع القراء في العالم في ثوان معدودة. ومن جهة أخرى أصبح قادرًا على نشر نُسخ لا محدود، ومن ثم ستتلاشى ترهة نفاذ النسخ التي كنا نسمعها.. كما ستتلاشى فكرة أن الكتب الجيدة هي التي تقرأ، حيث

تملك القدرة على الدفاع عن نفسها. ويمكن القول إن الموقف نفسه اتخذته الثقافة العربية التي قامت على المشافهة، والتي ترفع شعار كون "العلم يؤخذ من أفواه الرجال"، أو كما تعبر عن ذلك عبارة "حفظ عن ظهر قلب"، على اعتقاد منهم أن القلب لا العقل من يحفظ، أو قولهم في الفرنسية "Apprendre Par Coeur". غير أنه مع الزمن ستصبح هذه الكتابة أساس الحضارة، خاصة بعد اكتشاف المطبعة التي ستساهم بشكل كبير في تيسير وصول المعلومة إلى العالم، بل إن البعض يعتبرها بداية النهضة الأوروبية.

فظهور المطبعة في القرن الخامس عشر، سيشكل ثورة حقيقية نقلت المعرفة من عالم الخواص إلى عامة الشعب، ومن ثم كان البعض يتخذون منها موقفًا مضادًا على اعتبار أنها ستخلق حربًا بين الأجيال، خاصة من طرف الكنيسة. كما استمرت هذه المقاومة إلى القرن السابع عشر، حيث فطن "لويس الرابع عشر" بدوره إلى خطورة الكتابة والنشر، التي أتاحها المطبعة، ومن ذلك الفوضى الأدبية في النشر التي قد تنجم عن هذه المطبعة، حيث

بإمكانك أن تنقر في بعض المكتبات الإلكترونية فتجد أرواً رواية قرئت ملايين المرات، في حين رواية كنا نسميها عالمية قرئت بضع مرات في العالم طبعاً.

إن هذا الفتح الجديد -إن صح التعبير- يومية إلى أننا خلال عقود قليلة قد نتخلى -شئنا أم أبينا- عن الكتاب الذي قد يصبح في يوم من الأيام أثراً من المآثر، وتحفة من التحف شبيهة بالتحفة الطينية التي ضمت ملحمة "غلغامش". ونجد الكثيرين اليوم كما وجدوا من قبل عند اكتشاف الكتابة الرمزية أو اكتشاف المطبعة، يعارضون هذا النموذج للكتابة على اعتبار أنه مجمع للأخطاء والهفوات التي تنتشر بسرعة عبر الإنترنت. كما أنه يحد من الإبداع حسب البعض الآخر، بل إن العديد من الأكاديميين الذين لم يفتحوا أعينهم على الحاسوب والإنترنت، يرون في الكتاب الرقمي والمراجع الرقمية وثائق غير علمية لا تستحق الاستشهاد بها في البحوث والأعمال العلمية. هذه المقاومة التي نجدها اليوم طبيعية جداً، لأننا أمام طفرة جديدة شبيهة بطفرة اكتشاف الكتابة نفسها كما يذهب إلى ذلك الباحث المغربي "محمد أسليم"، وهو تحول لا يحدث إلا مرة في عشرات القرون، ولا بد أن يصنع المفاجأة والدهشة، خاصة في الدول النامية التي لم تستطع بعد مواكبة التغيرات التكنولوجية، التي فرضت نفسها فرضاً، والتي أصبحت تهيمن على الاقتصاد والطب والسياسة وغيرها. ولعل التحولات التي نجدها في التربية، خير دليل على هذا التحول الكبير.

فإذا كان التعليم في كثير من الدول النامية يعتمد -حتى الآن- على الكتاب المدرسي الورقي باعتباره المرجع الأساس الذي يفرض على المدرس والمتعلم معاً التوفر عليه وإحضاره والاشتغال عليه في الفصل، حيث نجد أحياناً المحفظة أثقل من التلميذ حين تصل المواد إلى سبع أو ثمان في بعض المستويات، فإن الدول المتقدمة قد استبدلته منذ سنوات بالحاسوب، خاصة في اليابان، وكوريا الجنوبية، وماليزيا، وبعض الدول العربية<sup>(١)</sup>.

لقد استغنت كوريا الجنوبية -مثلاً- عن الكتاب في التعليم منذ ٢٠١١م، وفرضت بدلاً منه اللوحة الإلكترونية، حيث يملك كل تلميذ جهاز تابلت (Tablet) يوفر له كل شيء، ويحميه من مغبة نسيان الدفتر والكتب المدرسية،

ومن الصعوبات المرتبطة بحملها والتنقل بها من مكان إلى مكان، ويتيح له التعامل مع كل الوثائق والمراجع التربوية التي قد يطلبها المدرس.. كما تهيئه للتعامل مع المعلومات والإنترنت في وقت مبكر، ومن ثم المساهمة مستقبلاً في تطوير هذا الحاسوب وتطوير العلوم التكنولوجية. وهذا النهج سارت عليه كثير من الدول. والواقع أن إدخال التقنيات التكنولوجية، وتعميم الحاسوب والإنترنت على كل المؤسسات التعليمية في الدول النامية، ضرورة لا بد منها في المستقبل. ومن ثم على الدول العربية أن تبادر جميعها إلى إعادة النظر في طرق ومناهج تدريسها، وكذا في وسائلها التعليمية. فالانخراط في عصر المعلومة والمعلومات، يفرض ذاته اليوم على الجميع، والبقاء في الهامش هو حاجز كبير نحو التقدم متعدد مغباته مستقبلاً. ومن ثم فاستباق عملية التعامل مع التكنولوجيات الحديثة التي تتطور باستمرار وبشكل رهيب، يجعلنا نتحكم فيها ونوجهها الوجهة الصحيحة، في حين أن التخلف عنها سيجعلها تتحكم فينا وتوجهنا وترهبننا كذلك. وتبقى المدرسة هي السبيل الوحيد لتربية الأجيال على المعلومات وتوجيههم للمواءمة بينها وبين الكتاب وتربية ذوقهم الفني على الجمع بين المعاصرة والتراث.

وأخيراً، فإن تطور الكتابة وحواملها من الوسائل البدائية إلى الوسائل التكنولوجية المتقدمة التي أنتجت الكتابة الرقمية، هو عنوان على تطور تمثلات الإنسان للعالم، وتطور مداركه نتيجة البحث العلمي المتواصل.. وسؤال نهاية زمن الكتاب ليس سوى سؤال علمي مشروع ضمن أسئلة كثيرة يطرحها العلماء الذين يرون في التطور السريع والمستمر للتكنولوجيا اليوم، رهاناً على إبدالات جديدة (New Paradigms) لا ندري حدودها أو منتهاها. ■

(١) كاتب وباحث مغربي.

الهوامش

(١) <https://drgawdat.edutech-portal.net/archives/13552>

(٢) الكتابة على ورق البردي عند المصريين: <https://mawdoo3.com> (١٥ نيسان ٢٠٢٤م).

(٣) <https://al-ain.com/article/the-march-of-education-in-the-uae-46-years-space>



# كيف نتدبر القرآن؟

ت

تكفل الله تعالى بحفظ القرآن وأمر الإنسان بالعمل به، وهذه الغاية لا يمكن الوصول إليها دون فهم أو تدبر وتفكر في آياته. فالذين يحفظون القرآن عن ظهر قلب دون فهم معانيه لم يحققوا مراد الله، والذين يعملون به دون فهم كذلك ليسوا على صواب، ولذلك نجد الآيات القرآنية تختتم بـ"العلمهم يتفكرون، يتدبرون، يعقلون".. إلى غير ذلك من الألفاظ التي تحمل معاني الدعوة إلى إعمال العقل في كتاب الله المقروء وكتاب الله المنظور. ولو أن الناس تدبروا القرآن بنوايا صادقة وقلوب خاشعة وعقول حاضرة، لاقشعرت جلودهم منه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكِ اللَّهُ يَهْدِي

بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣). إن المسلم مأمور بالتفكير والتأمل والتدبر في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (محمد: ٢٤)؛ والخطاب ليس مقصوراً على العرب الأميين، ولا هو بمقصود على أبناء القرن العشرين، ولكنه عامٌ مطلق لكل عصر ولكل مكان، إذ ليس من المعقول أن يفكر الإنسان على نسق واحد في جميع العصور. فالتدبر غاية مقصودة من القرآن الكريم، ولا بد للمسلم أن يحقق هذه الغاية التي هي مراد الله من الإنسان.

## التدبر واكتشاف مقاصد الآيات

التدبر في الآيات يعني التفكير والتأمل فيها، ومعرفة معانيها، واكتشاف أسرارها ومقاصدها ومراميها، والتعمق في ألفاظها وما خلف السطور من معانٍ



**التدبر غاية مقصودة من القرآن الكريم، ولا بد للمسلم أن يحقق هذه الغاية التي هي مراد الله من الإنسان. والبركة العظمي التي يمكن كسبها من القرآن الكريم، إنما هي في تدبر معانيه واستخراج أسرارهِ ومراميهِ.**

حذاء

وخماس اسمه "التعقل"، ووردت كل هذه الأساليب في القرآن الكريم، نوجزها في بعض النقاط الآتية:  
١- طاعة وامتنال لأمر الله تعالى في كثير من الآيات القرآنية.

٢- التدبر في القرآن هو مصدر سعادة الإنسان، يقول الرافي: "القرآن الكريم يعطيك معاني غير محدودة في كلمات محدودة"؛ فهو بحر يفيض عليك بأنواع من الخيرات في شتى جوانب الحياة، وحلول لمشاكلنا الدنيوية وخاصة في هذا العصر الذي تعقدت مشاكله وتباينت.

٣- التدبر يُشعر الإنسان بالسعادة والاطمئنان حينما يعرف المعاني والمقاصد القرآنية، وكان تكرار النبي ﷺ والصحابه ﷺ للآيات، يعني أنهم كانوا يتفكرون فيها وينظرون في معانيها ويعتبرون بمقاصدها.

٤- كثير من الباحثين والعلماء كان التدبر والتفكر في القرآن سبباً في هدايتهم إلى الإيمان به ودخولهم الإسلام؛ حيث قارنوا الآيات بما لديهم من إنجازات علمية حققوها بجهودهم، فتيقنوا بأنه كتاب الله تعالى للإنسان.

٥- بتدبر القرآن والعمل به يرتقي المجتمع المسلم ويتطور.

### خطوات أساسية للتدبر في القرآن

أ- اختيار الأوقات المناسبة للتدبر؛ حيث يكون الخشوع وسكينة النفس وراحة العقل وهدوء الحواس، وربما أفضلها جنح الظلام، فإن إبراهيم عليه السلام كان يتأمل الكواكب في الليل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ﴾ (الأنعام: ٧٦)، ولذلك فقد حجب الله تعالى ذلك التوقيت للنبي محمد ﷺ فقال: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ

مقصودة من كلام الله تعالى. والصحابه ﷺ قد تأملوا آيات الله وتعمقوا في فهمها، واستخرجوا لنا معاني وإشارات خفية لا تدل عليها ظاهر الآيات، مثل ما فهمه ابن عباس ﷺ من سورة النصر دُنُوُّ أَجَلِ الرَّسُولِ ﷺ، وهو الفهم الذي لا يمكن فهمه من ظاهر السورة.

يقول الجرجاني: "التدبر عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكير إلا أن التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب"<sup>(١)</sup>.

وأصل التدبر، التأمل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كل تأمل، سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابهِ.

وقال القرطبي في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ على وجوب التدبر في القرآن؛ ليُعَرَفَ معناه.

وقال الشعراوي: "التدبر هو كل أمر يعرض على العقل له فيه عمل فتفكر فيه لتتظن في دليل صدقه، هذه أول مرحلة، فإذا ما علمت دليل صدقه فانظر النتيجة التي تعود عليك لو لم تعملها، وتدبر تعني أن تنظر إلى أدبار الأشياء وأعقابها"<sup>(٢)</sup>.

والظاهر من مفهوم الآية الكريمة السابقة وما تدل عليه، وربط التدبر بالقلب والعقل في قوله: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤)، ما يدل على أن المقصود هو النظر إلى ما وراء الألفاظ من المعاني والعبير والمقاصد، التي تفيدها في فهم العلوم النافعة والقيم الأخلاقية التي تركزى النفوس لكسب رضا الله تعالى. إذن فالبركة العظمي التي يمكن كسبها من القرآن الكريم، إنما هي في تدبر معانيه واستخراج أسرارهِ ومراميهِ.

### التدبر طاعة وامتنال لأمر الله تعالى

من المعقول أن يكون للتدبر في القرآن الكريم أهمية قصوى لفائدة الإنسان، بل هو من الواجبات التي أمر الله تعالى عباده بها. يقول الشعراوي في خواتمه عن تفسير معنى قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: إذا سمعت كلمة "أفلا" فاعلم أن الأسلوب يقرع من لا يستعمل المادة التي بعده، أي كان الواجب عليهم أن يدبروا القرآن. فهناك شيء اسمه "التدبر"، وشيء اسمه "التفكر"، وثالث اسمه "التذكر"، ورابع اسمه "العلم"،

أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيَالًا ﴿المزمل:٦﴾، والسبب توفر السكون والراحة النفسية. وكذلك وقت البكور حيث يمكننا من تسجيل الأفكار وتصنيفها.

ب- التردد والتكرار؛ لأنه يعين على التأمل في معاني الكلمات ومقاصدها، لذلك جاء النهي عن قراءة القرآن بالسر السري، وشبهه ابن مسعود رضي الله عنه ذلك بنثر الدقل<sup>(٣)</sup>، فإن رجلاً قال لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قرأت المفصل الليلة في ركعة، فقال: هذا مثل هذ الشعر، أو نثرًا مثل نثر الدقل، إنما فصل لتفصلوا. وفي رواية: قال: إن قومًا يقرؤونه ينثرونه نثر الدقل، لا يجاوز تراقيهم (رواه مسلم). وهذا مما يدل على النهي في الإسراع في القراءة، لأنه يفسد غاية التدبر والتأمل.

ج- الاستماع إلى القرآن من الوسائل المعينة على التدبر، ويكفي أن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف:٢٠٣). وقال سفيان بن عيينة: "أول العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر، فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام بنية صادقة على ما يحب الله، أفهمه كما يحب، وجعل له في قلبه نوراً"، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقرأ عليّ القرآن"، قلت: يا رسول الله كيف أقرأ عليك وإنما أنزل عليك؟ قال: "إني أشتهي أن أسمع من غيري"، قال: فافتتحت سورة النساء فقرأت عليه، فلما بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال: نظرت إليه وعينه تذرّفان. قال ابن بطال: "وذلك لأن المستمع أقوى على التدبر، ونفسه أخلى وأنشط من نفس القارئ لا اشتغاله بالقراءة وأحكامها"<sup>(٤)</sup>.

د- طرح التساؤلات حين قراءة الآيات، فقد قيل: إن العلم خزائن ومفتاحه السؤال؛ لأن التساؤلات تعطينا فهمًا أوسع للقرآن، مثلاً نقول: لماذا استعمل هذا اللفظ ولم يستعمل هذا؟ أو لماذا قدم هذا وآخر هذا؟ ولماذا بدأ الآية بكذا وختمها بكذا؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي تجعل الإنسان يبحث في الكتب لمعرفة أسرارها. هـ- فهم الآيات بالعموم لا بالخصوص، كما يقول

أهل الأصول: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب". فإذا كانت الآية تتحدث عن بني إسرائيل، فإن المعنى هو أن المراد يشمل كل من اتصف بتلك الصفة، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف:١٠٣)، وإن كانت تتحدث عن الكفار، فإن أحكامها تشمل كل من لم يفهم المقصود الشرعي من الحكم، وظل يصر على فهمه ويعمل بمذهبه بعيداً عن الفهم الصحيح للحكم. وهكذا فإن كثيراً من الآيات نزلت لأسباب، ولكن أحكامها لا تتعلق بأسباب نزولها فقط؛ مثل المرأة التي جاءت النبي تشتكي مظاهرة زوجها مما هو معروف في الفقه "الظهار"، فكان السبب معروفاً، واسم المرأة معروفاً، وكذلك زوجها، غير أن ألفاظ الآية التي نزلت في حقهما عامة، فلذلك قال العلماء: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

و- الاعتماد على الصحيح من التفسير الذي يعطي للمعاني حقها، بعيداً عن الخلفيات المذهبية أو الفكرية التي تُحمّل الألفاظ تأويلات بعيدة المقصود. ولقد وقف الصحابة والمؤمنون الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عطاء القرآن وقت نزوله فيما استطاعت عقولهم أن تطيقه من أسرار الكون، ومن أسرار القرآن الكريم، وكانوا يتسابقون في معرفة معاني بعض الألفاظ دون تأويلات، فيسمعون معانيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ز- معرفة سبب النزول؛ فمعرفة سبب نزول الآية يزيل الإشكال الواقع فيها ويعين على فهمها، فالعلم بالسبب يوصل إلى العلم بالمسبب، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "معرفة سبب نزول القرآن يعين على فهم الآية". معرفة سبب النزول يزيل الإشكال، ويظهر الحكمة من التشريع، ويرفع توهم الحصر في بعض الآيات".

ح- كسب التقوى وإخلاص النية، فالله تعالى يقول: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٨٢)، كسب التقوى يأتي باستشعار عظمة القرآن، وتشعر نفسك أنك أمام كلام الله تعالى، فيكون حرصك شديداً لمعرفة معانيه وتعيش معه ليلاً ونهاراً كما قال الحسن

بن علي عليه السلام: "إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار".

ط- الربط بالواقع، فربط التدبر في القرآن والتفكير في آياته بالواقع الذي تعيشه، وإسقاط المعاني على الواقع يجعل الآية منطلقاً لإصلاح مشاكل الحياة الواقعية، لأن القرآن نور أنزله الله إلى الأرض ليستضاء به، فنعلم من خلاله الحق من الباطل، والله تعالى يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)، والتجديد الذي عناه القرآن هو التفكير الذي يتحرر من عوامل الألفة، والآبائية والتقليد، وينظر في الأفكار الجديدة نظرة وفي الواقع نظرة أخرى، ثم يقارن الفكر بالواقع ويتحرى الملاءمة والصواب. ولذلك ربط القرآن النظر في آيات الكتاب - حيث الأفكار الجديدة - بالنظر في آيات الآفاق والأنفس - حيث الواقع والأحداث الجارية - ووجه التفكير الإنساني لاكتشاف نتائج هذا الربط التي تُصدِّق آيات الكتاب.

ي- الرجوع إلى التفسير المعاصر، وكل الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم، فمما يساعد على التدبر الواقعي هو الاعتماد على التفاسير المعاصرة التي تعالج مشاكل زماننا، والتي تحوي مصطلحات ومعاني جديدة مثل تفسير الشعراوي وغيره.. كما لا ينبغي الاكتفاء بالتفسير بل قراءة الدراسات المعاصرة عن القرآن الكريم، مثل "التصوير الفني في القرآن الكريم" و"القرآن وقضايا الإنسان" لعائشة عبد الرحمن، وغيرهما من الكتب التي تعالج قضايا معاصرة من خلال القرآن الكريم.

### شروط تحقيق التدبر

١- العقل والقلب السليم، فالمجنون لا يمكنه التدبر وليس بواجب عليه، وأما العاقل صاحب القلب السليم فلا بد من التدبر، لأنه يملك الأداة والوسيلة، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

٢- القراءة والاستماع إلى القرآن مع حضور القلب الحي والعقل المفكر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ

فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

٣- اكتساب ملكة فهم كلام العرب، أي فهم اللغة العربية وقواعدها، ويحصل هذا بالتعلم لبعض قواعد العربية. وقد جمعت هذه الشروط في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧)، حيث صرحت بالشرطين الأولين، وأما الثالث فهي دالة عليه لزوماً؛ وذلك أن إلقاء السمع لا بد أن يكون معه الكلام مفهوماً لدى السامع، وإلا فإن الإصغاء للكلام الذي لا يفهمه أصلاً.

### العلاقة بين التدبر والتفكير والتذكر

عند النظر في تفاسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ نجد هناك من يرى أن التدبر هو التأمل أو الفهم، مثل قول القرطبي في تفسيره للآية: "أي يتفهمونه"، وقول الشوكاني: "أفلا يتفهمونه"، وابن عاشور: "يتأملون دلالته..". ومما هو معلوم أن الفهم هو معرفة المقصود من الكلام، بحيث لا يتجاوزه ولا يخرج عن المراد، أي أن المتدبر يريد فهم معنى اللفظ المقصود من الكلام، والفهم هو نتيجة ضرورية للتدبر. وبما أن الناس تختلف في الفهم من شخص لآخر، فهذا يعني أن التدبر سيكون مختلفاً أيضاً. وأما التدبر كما يقول الأصفهاني في مفردات القرآن: "معنى فكر أو الفكرة قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكير جولان تلك القوة بحسب نظر العقل".

هذا ويمكن القول إن التدبر يتعلق بالقلب ويعم كل الناس الذين يملكون أدواته، وأما التفكير فهو يتعلق بالعقل ويخص كل متفكر في مجاله العلمي، فالمفكر يبدأ بالتدبر وينتهي بالتذكر، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩). ■

(\*) أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي، جامعة الأغواط / الجزائر.

الهوامش

(١) التعريفات، الجرجاني، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٥، ص: ٤٠.

(٢) خواطر وتفسير الشعراوي، الشعراوي، ص: ٢٤٦٩.

(٣) أي يرمون بكلماته من غير روية وتامل كما يرمى الدقل بفتحتين وهو رديء الثمر.

(٤) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، مكتبة الرشد، الرياض

٢٠٠٣، مج: ١٠، ص: ٢٧٨.

## أمانة الكلمة

على مر التاريخ بمختلف جوانبه تتوالى الكثير من الأحداث، ودوماً تمر علينا السنون وهي حبلى بالأخبار والتجارب، وكذلك النوائب التي تعلمنا الكثير من المهارات، وتثقلنا بالخبرات المختلفة التي يجب ألا تمر علينا دون استخلاص الدروس والعبر.

ع

يقع على عاتق الكتاب والمثقفين تدوين كل تلك الأخبار والتجارب والتطور الثقافي الذي لا ينقطع، بل يجب أيضاً تنفيذها والحديث عنها سرّاً ونقداً على مر التاريخ والأزمان، لتظل كل تلك التفاصيل حاضرة أمام أعين الأجيال المتعاقبة جيلاً بعد جيل. وبالتأكيد فإن الكلمة هي النواة والأساس لكل ذلك؛ الكلمة التي نكتبها وندونها على صفحات الكتب والمجلات والصحف، وحتى تلك الأحرف الإلكترونية التي تُؤرشفها المواقع العملاقة وصفحات الإنترنت المختلفة.. الكلمة هي النور المشع الذي يبقى على مر الأزمان ليضيء للأجيال القادمة طريقها نحو الرشاد، ويمدها بعصارة خبرات الأجيال التي سبقتها.. الكلمة التي نكتبها لنوثق بها ما تعلمناه في حياتنا وما قرأناه سلفاً مسطوراً على صفحات التراث الذي دونه من سبقونا في مختلف المصادر. قد يتغير كل شيء أو يزول إلا الكلمة، وربما تنطفئ كل المشاعل إلا تلك التي

قد يتغير كل شيء أو يزول إلا الكلمة، وربما تنطفئ كل المشاعل إلا تلك التي وقودها الكلمة الراسخة في باطن الأرض كجذور الأشجار العملاقة التي تقف ثابتة فوق جذوعها شامخة على مر العصور، بل تكاد هاماتها تلامس عنان السماء. فالكلمة أمانة ومسؤولية عظيمة، فقد قال الله تعالى:

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (الإسراء: ٥٣).

وهذا يؤكد على أهمية اختيار الكلمات الطيبة التي تبني ولا تهدم، والتي تعزز الأخوة والمحبة بين الناس.

حذاء

عيسى ما كان سوى كلمة  
أضاء الدنيا بالكلمات  
وعلمها للصيادين فساروا يهدون العالم  
الكلمة زلزلت الظالم  
الكلمة حصن الحرية  
إن الكلمة مسؤولة  
وشرف الرجل هو الكلمة

إن مسؤولة الكلمة ثقل عظيم يقع على عاتق كل من يدون بقلمه أحرفاً وكلمات على وجوه مختلف الصفحات، التي تقرأ سطورها القلوب والنفوس التواق للمعرفة، لذا فالكلمة -حقاً- هي التي تبقى على مر الزمان محفورة في العقول والقلوب والنفوس معاً.

الكلمة تغير نفوساً وتبني عقولاً وتفتح قلوباً وتشيد آفاقاً، قد تكون الكلمة شجرة مثمرة تشبع بثمارها بطون من يلتجئون إليها، أو جمرة متقدة تحرق بناها كل من اقترب منها، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ \* وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٦). فكل كلمة الحق والبناء والكلمة الطيبة، جذورها ممتدة في باطن الأرض وفروعها تلامس عنان السماء، أما كلمة السوء والهدم فهي هابوية مضمحلة لا محالة مهما علت أو انتفشت فمصيرها النسيان.

لذا فإن كلمة المثقف والكاتب تقع في مقام آخر عن غيره، لأن أهميتها تكمن في الدور المهم والرائد للكاتب والمثقف في بناء المجتمع ونهضته. فالكاتب والمثقف يعمل على دعم الهوية لدى مجتمعه، مع مراعاة الفروقات

وقد أكد النبي ﷺ على ثقل الكلمة وعواقبها في الحديث الشريف: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم" (رواه البخاري)، فالكلمة الطيبة صدقة، والكلمة السيئة قد تُورد صاحبها المهالك.

هناك من الكلمات ما هو عث يتلاشى بتلاشي ضوء النهار الذي كُتبت فيه، فلا يبقى ولا يطول أثره ولا يسمن العقل أو يغني الروح.. وعلى الجانب الآخر هناك من تلك الكلمات الثمين الذي يصير وقوداً للنفوس العملاقة، لتنتقل نحو الأمام بلا توقف أو حياذ عن هدفها الواضح والغالي الذي تسعى إليه.

إن الكلمة هي مفتاح كل شيء، وقد تكون هي المنجم الذي يحوي الكثير من الكنوز، وقد تكون الكهف الذي يخبئ في باطنه جحور الحيات وغيوم الظلام، وقد برع الكاتب عبد الرحمن الشرفاوي حين وصف الكلمة بتلك الأبيات فقال:

أتعرف ما معنى الكلمة؟  
مفتاح الجنة في كلمة  
ودخول النار على كلمة  
وقضاء الله هو كلمة  
الكلمة نور

وبعض الكلمات قبور  
الكلمة نور ودليل تتبعه الأمة  
الكلمة لو تعرف حرمة.. زاد مزخور  
وبعض الكلمات قلاع شامخة يعتصم بها النبل البشري  
الكلمة فرقان ما بين نبي وبغي  
بالكلمة تنكشف الغمة



الثقافية والبيئية للأحداث والأفكار والأشخاص، فما يصلح لمجتمع قد لا يصلح في مجتمع آخر.

كما أن المثقف لديه القدرة بشكل أكبر على التفرقة بين الحضارة الأصلية والحضارة المقلدة.. فالذي يتناول الكلمة بالقراءة والكتابة يعرف جيدًا أن الحضارة الحقيقية ليست بمجرد الراديو والتلفزيون أو المظاهر البراقة والكلمات الرنانة، إنما يعلم ويدون الكاتب بكلماته، أن الحضارة نتاج الأرض الصالحة، والبذرة الطيبة تكبر وترعرع برعايتها وبنائها بسواعد أبنائها. فالمثقف والكاتب يقع على عاتقه الوقوف في الصفوف الأولى للمجتمع الراقي والمتقدم، بل هو بكلماته من يحمل النبراس ليضيء للجميع طريقهم نحو الأمام.

كذلك تقع مسؤولية الكلمة -في المقام الأكبر- على عاتق الكتاب والمثقفين الذين يمسكون بزمام نشر الوعي وبناء الإنسان وتنمية المجتمع ودعم القيم والأخلاق. وفي زمننا هذا -حيث تتسارع الأحداث وتعدد وسائل الإعلام- يزداد وزن الكلمة وتأثيرها في النفوس والعقول. فالكلمة الصادقة تعلي من شأن الأمم وتير الدروب، والكلمة الزائفة تضل وتفرق. لذا، يجب على الكتاب والمثقفين أن يتحملوا مسؤولية الكلمة بكل جدية وأمانة، وأن يكونوا قدوة في الصدق والإخلاص، وأن يسهموا في نشر الوعي والمعرفة النافعة التي تبني عليها الحضارات.

وكمثال واقعي على مسؤولية الكلمة وأهميتها، نسلط الضوء على "مجلة حراء" التي نشرت بين صفحاتها كنوزًا ثقافية ومعرفية عملاقة على مدار سنوات طويلة؛ تلك الكنوز التي أثرت الثقافة العربية بكاملها وترى عليها أجيال من القراء والمثقفين المتلهفين للمعرفة على مدى عقود من الزمان، وبقيت في ذاكرة الثقافة العربية نورًا يضيء الطريق للقادمين من بعيد.

لذا ف"حراء" وما على شاكلتها من مصادر الثقافة التي لم تنضب قط، هي أكبر الضمانات التي تسجل بالكلمات المرسومة بين دفتيها التراث العربي الثقافي والعلمي، ليبقى حاضرًا في القلوب والعقول والسطور مهما مرت السنوات أو تعاقبت الأجيال.

ومن هنا، تأتي أمانة الكلمة في الإسلام جزءًا لا يتجزأ من مسؤولية الإنسان تجاه نفسه ومجتمعه وأمه، فهي تحمل في طياتها البناء أو الهدم، النور أو الظلام، وتعد من أعظم الأمانات التي يجب أن يحافظ عليها الإنسان، ويحاسب نفسه عليها قبل أن يحاسب. فلنجعل من كلماتنا جسورًا للتواصل والتفاهم، ولنبتعد عن كل ما يفرق ويشتت، ولنكن دعاة للخير والسلام والمحبة في كل ما نقول ونكتب. ■

\*) كاتب وأديب مصري.

## العمل من المنزل دقائق غير متوقعة

أن تتيقن أنك في الحقيقة لا تتوقف عن العمل وتجلس في المنزل لتقوم بمهام أكثر فأكثر.. المجهود الذي كنت تتهرب منه في الخارج ستبدل أضعافه في المنزل.. صحيح أنك لست بحاجة للاستيقاظ مبكراً، وتكفيك خمس دقائق لفتح الحاسوب والشروع في العمل، لكنها غير كافية على الإطلاق لتحضير عقلك للعمل ولتحسين مزاجك للإنتاج.

وفق نتائج استطلاع أجرته دورية theHRDIRECTOR عام ٢٠٢٠م، تبين أن ٤٥٪ من الموظفين يشعرون بالإرهاق عند العمل من المنزل بسبب فقدان التوازن بين العمل والحياة الشخصية؛ لأنه عند العمل والعيش في نفس المكان، لا توجد حدود واضحة للفصل بين العمل والحياة الشخصية، مما قد يجعل من الصعب إغلاق الكمبيوتر المحمول وإنهاء يوم العمل. ومن المعروف أن الإرهاق الحقيقي يسبب مجموعة متنوعة من الحالات الجسدية والعقلية، بما في ذلك ارتفاع ضغط الدم، والسمنة، وضعف الجهاز المناعي، والاكتئاب، وأمراض القلب، وحتى الموت.

هل اخترت يوماً أن تعمل من المنزل وتخلص من روتين الوظيفة؟ وهل سألت عن حال من عمل عن بعد لسنوات كيف هو الآن؟ وبماذا توصي الأبحاث العلمية قبل خوض هذه التجربة المثيرة؟ يبدأ اليوم الأول لك بالعمل في المنزل بتلذذ الشعور بالراحة، والهرب من عناء الاستيقاظ مبكراً، والشقاء في المواصلات، أو التخلص من الاضطرار للإقامة بعيداً عن الأهل إذا كان عملك في منطقة أخرى.. ستقول حينها "ما أجمل الإنترنت"، و"ما أروع مبتكر العمل عن بعد!" و"كيف كان هذا النظام بعيداً عن الأذهان قبل جائحة كورونا؟". عندما نسمع عن العمل من المنزل، تتبادر لأذهاننا صورة رومانسية لشخص يجلس على أريكته المريحة، يحتسي قهوته الساخنة، ويعمل براحة تامة. لكن خلف هذه الصورة الجميلة يكمن وجه آخر مليء بالتحديات والمخاطر التي قد تكون أكثر قسوة مما تتخيل. ستمر الأيام وأنت تشعر بهذا النعيم المؤقت، إلى

هـ

## الوقت يتبخر

نعم سيكون أمامك الكثير من الوقت في أثناء العمل من المنزل، لكنه سيتبخر دون أن تنجز شيئاً إضافياً، لماذا؟ لأنه أصبح لديك فرصة للمزيد من التسويق، وستعاني بسبب الكثير من المشتتات في بيئة ليست مثالية للعمل، ولأنه صار لديك وقت للقيام بأشياء ليست طارئة، فضلاً عن أن جميع من في المنزل ينظر إليك على أنك متاح لتلبية طلباته، إذ لن يدرك أحد جدية ما تعمل طالما أنك أصبحت تقوم به بملابس النوم، وستضطر للعودة إلى العمل في غير الأوقات الرسمية على الأقل للتأكد من أنك لم ترتكب أخطاء، هذا إن لم يكن هناك مهام لم تنجزها في الأساس وتريد إتمامها.. فهذا طبيعي طالما أصبحت غير مستعجل على العودة إلى المنزل.

تخيل أنك تجلس في غرفة المعيشة، حيث كانت دائماً ملاذاً للراحة والاسترخاء، لتجد نفسك فجأة محاطاً بمكتبك ووثائق العمل، بالطبع ستفقد سريعاً أعصابك إذا حدثت أحد من أفراد الأسرة في موضوع ما، ستري أن ذلك إهانة لأنك تعمل وهم لا يقدسون ما تعمل، وبلا شك فإن الزيارات المفاجئة ستصبح كارثة بالنسبة لك.. عليك أن تدرك أنه من الصعب إنشاء فصل واضح بين حياتك المهنية وحياتك الشخصية، وإقناع الآخرين بها، وأنت في الحقيقة ستقضي وقتاً أكبر في العمل يفوق ما تقضيه مع العائلة، وليس العكس. هل أحدتلك عما هو أخطر من ذلك؟ أمام كل هذه الفوضى، ستفتقد الابتسامات والمجاملات التي كنت توزعها على زملائك في المكتب من روتينك اليومي.

## الانطوائية الطوعية

إذا نجحت في عزل نفسك عن المحيط الخارجي والتفرغ لأجل العمل فقط، فأنت تخطو أولى خطواتك نحو الانطوائية الطوعية، ستفقد مرونتك الاجتماعية، وسيستهويك الصمت رويداً رويداً، وستفضله عن محادثاتك مع الأقربين، ستخرج من عزلتك في نهاية اليوم وأنت منهك، لا تملك الرغبة في الكلام مع أحد.. وتفتقد تلك اللهفة للقاء زوجتك وللنظر في وجه أبنائك أو سماع أخبارهم، ببساطة لأن أصواتهم لم تقطع في الأساس عنك، وبالتأكيد تقابلت معهم عندما خرجت

إلى الحمام أو لشرب الماء أو احتساء القهوة، لكن على الأغلب لن تلقاهم بنفس الابتسامة على وجهك عند مقابلة زميلك في المكتب الآخر. نسيت أن أخبرك أن وزنك سيزيد لا محالة، لأن عدد خطواتك في اليوم أصبحت أقل من دقائق الساعة الواحدة.

مع طول غيابك عن مكتبك ستعاني من فقدان الشعور بالمنافسة مع الآخرين، وفي الغالب لن تحقق التوازن الذي تنشده بين حياتك العملية والمهنية، وستمل من الشعور بالوحدة، حيث سيقل تواصلك الشخصي مع الزملاء، ولن يكون هناك مجال لتكوين صداقات جديدة.. هذ الشعور بالوحدة هو أكبر عيوب العمل في المنزل، ويمكن أن يؤدي إلى مشاكل صحية مثل ارتفاع ضغط الدم، وأمراض القلب، والسمنة، وضعف الجهاز المناعي، والقلق، أو حتى الاكتئاب.

العمل من المنزل يعني فقدان تلك اللحظات الصغيرة التي تشاركها مع زملائك في المكتب؛ تلك الأحاديث الجانبية، الضحكات المشتركة، ودعم الزملاء في الأوقات الصعبة.. في غياب هذا التفاعل البشري، قد نشعر بالوحدة والعزلة، وكأننا سجناء داخل جدران منزلنا. هذا الشعور بالعزلة يمكن أن يكون مؤلماً ويؤدي إلى تدهور الحالة النفسية.

وفق تقرير حالة العمل عن بعد لعام ٢٠٢٣م، الذي يسלט الضوء على تجارب ٣٠٠٠ عامل عن بعد من جميع الأنحاء، أفاد واحد من كل ثلاثة موظفين يعملون عن بعد، أن أكبر معاناتهم هي أنهم يقعون في المنزل كثيراً لأنه ليس لديهم سبب للمغادرة، وكان المأزق التالي الأكثر إلحاحاً لدى العاملين عن بعد هو الشعور بالوحدة، حيث اختاره ٢٣٪ من العاملين عن بعد، يسير هذان النضالان جنباً إلى جنب ويرسمان صورة توضح كيف يمكن أن يكون واقع العمل عن بعد أمراً صعباً للغاية، وإجمالاً فقد أفاد ٩١٪ من المشاركين أن لديهم تجربة إيجابية في العمل عن بعد، لكن التقرير لم يحدد الفترة الزمنية التي قضاها أي منهم في العمل بعيداً عن المكتب.

## مسؤولية أكبر

هل تعلم أن المشي في الهواء يمنحك دفعة من الطاقة وجرعة من فيتامين D المسؤول عن فوائد كبيرة أبرزها



تحسين الحالة المزاجية، بل أنه بمجرد ارتداء ملابس احترافية يمكن أن يساعد ذلك على أن تكون أكثر إنتاجية ويزيد من احترامك لذاتك؟ وهل تعلم أنه على الرغم من كل الأدوات التي وفرتها لنا التكنولوجيا للتواصل عبر الإنترنت، إلا أنه في بعض الأحيان لا يوجد بديل للتفاعل وجهًا لوجه، إذ قد يتمكن الزملاء الذين يجلسون حول طاولة وينظرون إلى المخططات من حل مشكلة في دقائق، قد تستغرق أيامًا باستخدام أدوات التواصل عبر الإنترنت. قبل أن تفكر في الانتقال إلى نمط العمل من المنزل، عليك أن تعي جيدًا أنك تتحمل مسؤولية أكبر بكثير عن حياتك المهنية وصحتك من ذي قبل، عليك أن تبدأ في بناء مستوى من الوعي الذاتي حول العلامات التحذيرية للإرهاق وتغيير سلوكياتك، والتحديات المرتبطة.

العمل من المنزل يتطلب -كذلك- قدرًا كبيرًا من التنظيم والانضباط الذاتي والاعتماد على النفس.. ليس كل شخص قادرًا على إدارة وقته بنفس الكفاءة، قد نجد أنفسنا نؤجل المهام، وتراكم الأعمال، لنشعر في النهاية بضغط هائل وصعوبة في الوفاء بالمواعيد النهائية.. هذا العبء النفسي يمكن أن يكون مرهقًا ومؤلمًا.

### خطر الاكتئاب

رغم الامتيازات المتوفرة في العمل من المنزل، وتأكيد غالبية الموظفين الذين يعملون عن بُعد أنهم أكثر سعادة وإنتاجية وأكثر احتمالية للبقاء مع صاحب العمل، يظهر بحث جديد أن هناك خطرًا واحدًا -على الأقل- يواجهه من يعملون عن بعد، ألا وهو تأثير صحتهم العقلية.

وفقًا لتحليل أجراه معهد الفوائد المتكاملة (IBI) عام ٢٠٢٣م، كانت هناك زيادة بنسبة ٥٪ في احتمال ظهور أعراض القلق والاكتئاب لدى موظف يعمل عن بعد مقارنة مع موظف يعمل في مكان العمل. وذكر الباحثون أنه على الرغم من عدم وجود تباين كبير بين احتمالية إصابة العاملين عن بعد بشكل كلي والعاملين عن بعد بشكل جزئي بالاكتئاب والقلق، إلا أنه من الحكمة أن ينتبه أصحاب العمل إلى هذا الاختلاف. وأشار البحث إلى أن "العمل عن بعد، قد لا يكون الحل الأمثل لكل موظف". ولم يكن هذا هو البحث الوحيد الذي كشف عن مشاكل الصحة العقلية المرتبطة بالعمل عن بعد

والمختلط، حيث قال ٦٤٪ من المديرين التنفيذيين إن العمل عن بعد أثر سلبيًا على الصحة العقلية لموظفيهم في عام ٢٠٢٢م، ارتفاعًا من ٥٥٪ في العام السابق وفقًا لمسح أجرته شركة RSM US وهي شركة خدمات مهنية، بالتعاون مع غرفة التجارة الأمريكية، وقال ٧٣٪ من المديرين التنفيذيين إن العمال شعروا بالعزلة بزيادة من ٦٨٪ في عام ٢٠٢١م.

وطالما أنك في عزلة، ستجد نفسك تعمل حتى ساعات متأخرة من الليل، دون أن تدرك أنك تجاوزت الحدود بين عملك وحياتك الشخصية.. وهذا التداخل قد يؤدي إلى احتراق نفسي شديد، ويجعلنا نشعر بأننا نعيش للعمل فقط دون أي مساحة لنفسنا أو لعائلتنا.

### روح المغامر

باتت تلك الوظائف التي بعنوان "عمل عن بعد" كثيرة، وباتت الكثير من الشركات تقترح على موظفيها العمل من المنزل بغرض توفير النفقات، لكن نصيحتي لك أن "تتجدد ولا تتجمد"، لا تلهث وراء هذا الكابوس، ولا تنس أن كل يوم في المكتب يحمل في طياته فرصة للتفاعل مع الآخرين في بيئة نابضة بالحياة، أما إن اضطررت للعمل خارج مقر عملك، فلا تخترب أبدًا العمل من المنزل، وأنجز عملك من أي مكان آخر.

لا تفقد روح المغامر والصيد المغرورة بداخلك؛ كان أسلافنا يخرجون منذ شروق الشمس يواجهون المخاطر، ويعودون في نهاية اليوم بصيد يرضي غريزتهم.. وأنت كذلك -تحتاج إلى ما يمنع عنك الخمول والفتور، ويزرع فيك الرضا والشعور بالإنجاز، وهذا غير موجود في المنزل؛ ذلك المكان الذي نبحث فيه عن الهدوء والراحة، لكن بعد يوم من الضجيج والتعب.

الذهاب إلى العمل ليس مجرد روتين يومي، بل هو تجربة غنية تمنحنا الكثير من الفوائد النفسية والمهنية، من التفاعل الاجتماعي إلى الهيكلية والانضباط، من الإلهام الجماعي إلى البنية التحتية المتكاملة.. كل هذه العناصر تساهم في تحسين جودة حياتنا.. لذا، دعونا نقدر هذه الفوائد، ونستمتع بكل لحظة نقضيها في بيئة العمل النابضة بالحياة. ■

(\*) كاتب صحفي وباحث إعلامي / مصر.

## الأرواح المهمومة

ثمة عوامل كثيرة تُغرق الإنسان في المآسي والمعاناة.. وفي ذلك يقول الشاعر والأديب والتركي "نجيب فاضل": "كيف لا تهتمُّون أمام انقلاب القيم وتدهورها في المجتمع؟! وكيف لا تشعرون بالألم والمعاناة إزاء انغماس الكثيرين في الملذّات رغم ما يحدث حولهم من شدائد وأهوال، وكأنه لا يوجد شيءٌ آخر في العالم!؟".

لقد حفلَ التاريخ بشخصيات عظيمة جعلت همّها الأُحدَ أمّتها، فعاشت مثلَ هذه المآسي والمكابدات.. وهذه هي "المكابدة النبوية" أو ما يمكن تسميته بـ"المعاناة المقدسة"؛ لأنّ دقيقة من مثل هذه المعاناة الداخلية إزاء الأحوال العامة للإنسانية، بل ثانية منها تعادل يوماً مشحوناً بالعبادات. إن التلوّي وانقصاص الظهر من أجل إعانة الإنسانية ورفع الغشاوة عن أعينها، وإرشادها إلى الحقائق، وفتح آذانها، وإشعارها بالحقّ والحقيقة؛ له قدرٌ

كبيرٌ عند الله تعالى، وهذا ما دفع "سفيان بن عيينة" إلى أن يقول: "لو أن محزوناً بكى في أمةٍ، لرحم الله تعالى تلك الأمة ببكائه"<sup>(١)</sup>.

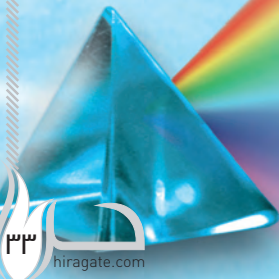
إننا في حاجة ماسة اليوم إلى هذه الأرواح المضحية المهمومة التي تهتمّ بهمّ غيرها، وتدرك ما يقع في المجتمع من انهيارات وتقلبات أخلاقية؛ فتتألم لما يحدث في أعماق روحها، وتتجافى جنوبها عن المضاجع، فتنهض من فراشها وتتجوّل في الدهاليز كالمجانين متسائلة: "ما هذه الحال التي آلت إليها الأمة؟ متى سينتهي هذا الهديان؟ متى سينتهي هذا التشرذم والانفصال؟!.. إنها - ومع كل ذلك - تحافظ على ألا تقع في ذمّ القدر.

أجل، إنها من جهة، ترى ما يجري داخل المجتمع من انكسارات وتتألم لها، ومن جهة أخرى لا تحيد عن أفق الرضا، ولا تضطلع بتصرفات وسلوكيات تذمّ القدر.. تقول دائماً: "رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً"، مبدية احترامها لقدر الله ﷻ؛ فهي تعلم جيداً أن المراد الإلهي هو الأساس في تحصيل الجماليات المنشودة، والله تعالى لا يسير إجراءاته الإلهية وفقاً لأهوائنا، بل يفعل ما تقتضيه سننه الكونية.

أجل، إن كل شيء يجري بأمر الله تعالى، وما يقع علينا نحن العباد على سبيل الشرط العادي - بعد استنفاد الأسباب - هو "التحسّر، والأنين، والتلوي، والدعاء إلى الله، والتضرع إليه من أجل إسكات الأفواه الشريرة بالعقاب الإلهي ودحر الظالمين الجائرين".. يقول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الشُّوْءَ﴾ (النمل: ٦٢)، فإن بلغ الدعاء أفق القبول، أجرى الله تعالى على عباده أفضلًا مفاجئة من حيث لم يحتسبوا، وجعل للمؤمنين الصادقين صدًى حسناً يدوي في كل أرجاء الأرض.

إن ما يقع على عاتق الأرواح السامقة التي تهتمّ بهموم الإنسانية إذن، هو أن تحصر كل همّتها وجهودها في حلّ المشاكل التي تعانيتها البشرية، وترميم قلاعها المتهدمة، وفي الوقت ذاته تبث شكواها إلى الحق تعالى، وتشعر في وجدانها بالسلبات المتشابكة التي تتخبط فيها الإنسانية، وتتوجه إلى الله قائلةً في أنين وأسى: "اللهم أنت الملجأ والملاذ، فلا تكلنا إلى غيرك". ■

<sup>(١)</sup> هذه النصوص مترجمة من دروس الأستاذ فتح الله كولن الخاصة، بتاريخ ٢١ نوفمبر ٢٠١٤. الترجمة عن التركية: هيئة حراء للترجمة.





## العزلة في عصر التواصل

يؤكد الكاتب الأمريكي "توماس وولف" أنه "لظالما كانت الوحدة -وستكون- التجربة الأهم واللامفر منها لأي إنسان"، فهذا يعني أننا جميعاً سنختبر هذا الشعور على الأقل مرة واحدة في حياتنا، وذلك على الرغم من كون الإنسان كائناً اجتماعياً بالفطرة.

وتتزايد أعداد الأفراد الذين يعانون من الوحدة والعزلة بشكل مرضي كل يوم حول العالم، بغض النظر عن العمر والثقافة والحالة الصحية.. وقد أثبتت أغلب الدراسات والأبحاث أن الشعور بالوحدة لا يسبب فقط الإحساس بالحزن، ولكن للأمر أبعاداً صحية خطيرة قد تؤدي إلى الوفاة.. ويصف الأطباء الشعور بالوحدة أنه وباء، ويشبهون تأثير الوحدة على الصحة بالسمنة أو التدخين بمعدل ١٥ سيجارة في اليوم.

ي

**على الأفراد المساهمة في جعل التواصل الاجتماعي قيمة مجتمعية جوهرية من أجل تنمية الصحة والسلامة الفردية، وتحسين مخرجات التعليم والاقتصاد، ليصبح الناس أكثر سعادة وازدهارًا، ويبنون المجتمع بصورة أفضل.**

حذاء

-وحده في الغرفة، أو في أفكاره ومشاعره وآرائه ومعتقداته رغم وجوده في مجموعة- دون مشكلة، بل ربما يسعى للانزغال طلبًا للهدوء ورغبة في التأمل، بينما يتجنب الوحدة المؤلمة كما هو الفرق بين الاستمتاع بمشاهدة فيلم لوحده، والانخراط في بكاء لغياب الرفيق الذي نتمنى أن يقاسمنا المتعة.

أما فائدة الشعور بالوحدة فتكمن في إعلان الحاجة لتحسين الوضع بتواصل ما، أو طلب مساعدة نفسية، وفقًا لتفاوت الحالة ما بين شعور عابر بالوحدة يسهل التغلب عليه، وشعور متطرف عصي العلاج، ووحدة اجتماعية تأتي من غياب التواصل مع الآخرين، ووحدة عاطفية نتيجة لافتقاد العلاقات الحميمة المقربة الدافئة، ووحدة وجودية تحدث عند الشعور بالانفصال الكامل وانعدام التواصل مع الآخرين، بسبب خبرات صادمة، أو أكثر من وحدة معًا.

### العزلة بين العوامل الخارجية والداخلية

تنوع أسباب العزلة والوحدة بين العوامل الخارجية كمكان السكن أو العمل، والعوامل الداخلية مثل طريقة التفكير، حيث يختلف الأمر سلبيًا في حالات التواجد في جزء معزول من البلاد، مع محدودية الأنشطة الاجتماعية وخدمات المواصلات، أو عندما لا تتوافر الموارد المالية اللازمة للاشتراك في تلك الأنشطة، أو في حالة وجود إعاقة جسدية، أو مرض يصعب معه الخروج من المنزل، أو مشكلات صحة عقلية تمنع التواصل السوي مع الآخرين أو تعقده. وهذا بخلاف كثرة الالتزامات في العمل وفي محيط الأسرة التي تقيد الحرية، وتسرق وقت الحياة الاجتماعية. وكذلك يفعل الشعور بعدم القدرة على الاندماج في مكان

وقد صدر تقرير عن الصحة العامة الأمريكية في عام ٢٠٢٣م، ليشتمن مقترحًا إستراتيجيًا وطنيًا لتعزيز التواصل الاجتماعي، والحد من آثار الوحدة السلبية على صحة الفرد والمجتمع، لارتباطها بالإصابة بأمراض القلب والسكتة الدماغية والسكري، والأمراض المعدية -بسبب ضعف المناعة- والموت المبكر والاكئاب، والقلق والمشكلات الإدراكية، وانخفاض كل من الأداء الأكاديمي والأداء الوظيفي، وغير ذلك.. وبينت دراسة لجامعة بريغهام يونغ، أن للشعور بالوحدة آثارًا سلبية على طول العمر، كآثار تدخين ١٥ سيجارة يوميًا، وأن سوء العلاقات الاجتماعية مرتبط بزيادة خطر الإصابة بأمراض القلب والسكتة الدماغية بنسبة ٢٩٪ و ٣٢٪ على التوالي. ولهذا، اعتبر التصدي لظاهرة الوحدة، ضربًا من الاستثمار كما هي الحال مع علاج أمراض السمنة والإدمان، لا سيما وأن التعامل مع الوحدة بين كبار السن، يكلف الحكومة الأمريكية وأصحاب الأعمال مليارات الدولارات سنويًا.

وقد تم الاعتراف مؤخرًا بالشعور بالوحدة كظاهرة مرضية، وهَمٌّ من هموم الصحة العامة، بعد عقود من البحث ولفت الانتباه، تم اتخاذ تدابير وإطلاق مبادرات تخاطب مختلف فئات المجتمع مكونات تحسين التواصل.

### العزلة باعتبارها مشكلة نفسية

يحتاج الإنسان إلى "الحماية والأمان والتواصل"، لكي يحافظ على اتزانه واستقراره النفسي، الذي يتوفر بتواجده في محيط ذويه من البشر، لذا حين يزداد الشعور بالوحدة، يفعل وضعية الدفاع أو الهروب من المسؤولية في مواجهة الأزمات.. فيها يفرز الجسم هرموني الأدرينالين (هرمون الطوارئ)، والكورتيزول (هرمون التوتر)، ومع استمرار ذلك الشعور يعتاد الجسم إفرازهما، ويتسبب في أعراض الشعور بالوحدة. ومن جانب آخر، تناولت "غيل هاسون"، مفهوم الوحدة في كتابها "وحيد بشكل أقل"، وأكدت على الفرق بين أن يكون الشخص وحده، وأن يكون وحيدًا؛ ففي الحالة الأولى يكون منفصلاً أو بعيدًا بطريقة معينة



العمل أو الدراسة، وربما الانتماء إلى أقلية عرقية أو ثقافية أو عمرية.

ويؤدي الاعتقاد باستمرارية سبب الوحدة وصعوبة السيطرة عليها، إلى فقدان دافعية التغيير، بينما يتطلب الأمر تغيير الاعتقاد والنظرة للعالم. فقد أكدت دراسة تمت في ٢٠١٩م من جانب "كينجز كولييدج" بلندن -طلب فيها من ألفي شاب وصف صداقاتهم لجيرانهم بينهم مشاركون أشقاء يعيشون في البيت نفسه- أن الوحيدين بينوا حظوظاً أقل في الصداقة وفي الثقة بالنفس، مقارنة بمن هم أقل شعوراً بالوحدة.

### مواجهة اضطراب العزلة

وللهروب من العزلة والوحدة لا بد من تحديد الظروف الخارجية المتسببة، ثم التفكير في المطلوب من التواصل والصداقة. وإذا كنا نريد تكوين صداقات، فعلىنا البحث عنها، ويمكن أن تكون بداية التواصل في اهتمامات وأنشطة نستمتع بالقيام بها، وأمور تسهل علينا الانخراط في حديث وكسب صديق. كما يمكن أن تبني صداقات عبر منظمات ومنصات وتطبيقات لمجموعات هوايات، كالقراءة والكتابة والرحلات والتبادل الثقافي.. والفرص متاحة أيضاً لتجريب جديد يعزز الثقة بالنفس، كتعلم لغة أو فن أو طبخ.. إلى جانب التطوع بوصفه سبيلاً لعقد الصداقات والشعور بالسعادة والصحة. وكل ما يتطلبه الأمر الخروج من منطقة الراحة، والتغلب على الخوف والشك في الذات. فليس المطلوب منا أن نكون عباقرة ومثقفين

لنكسب صداقة، بل يكفي بعض اللطف والابتسامه وبضع كلمات طيبة، ليأتي الباقي تلقائياً ومعه الثقة.

ولا بد من إعداد مهنيين، وتوفير تدريب وتعليم صحي، ولا بد من التوعية -بالجانب الطبي- للتواصل الاجتماعي، وأخطار الوحدة والعزلة من أجل الوقاية والتدخل العلاجي، إضافة إلى برامج تثقيفية لأولياء الأمور والمعرضين لعيش خبرة الوحدة كالمرضى والمعاقين والمهمشين والمطلقين.. ولا بد من العمل مع منظمات في شراكات داعمة لمن يعانون العزلة والوحدة، وإيجاد فرص تعاون بين الباحثين والإكلينيكين، لإتاحة فرص التقييم والتطبيق على فئات معينة.. وطرح مؤشر للتواصل الاجتماعي في إطار الصحة عبر برامج وتعليم وبحث وتشجيع أساليب الحياة الصحية، ووضع برامج تثقيفية عامة تركز على آثار العزلة الاجتماعية الصحية، وجعل موضوع التواصل أساسياً في برامج تحسين الصحة، ودراسة أسباب العزلة، إلى جانب تقييم وتنفيذ تدخلات مستدامة، وإطلاق برامج وحملات وأدوات وشراكات لهذا الغرض، والتقييم والتحديث المستمر لإستراتيجيات وأدوات القياس.

وعلى الباحثين إعداد دراسات بحثية تتضمن دراسة العزلة الاجتماعية في ضوء العمر، والدخل، والثقافة، والعرق، والنوع، والهوية، والصحة، وسواها.. ووضع مؤشرات للمخاطر والمخرجات الأخرى، وفحص آثار التواصل ومؤشرات وأدوات القياس، وتوفير قواعد بيانات لأغراض البحث، وتمويل برامج ناجحة تحسن التواصل كتلك التي تتعامل مع من يعيشون الوحدة والعزلة، وبرامج نشر التوعية.

كما تقوم المدرسة بدور كبير في تنمية المهارات الاجتماعية، وإتاحة فرص لتنمية علاقات الطلاب وتقويتها، ودمج التواصل الاجتماعي في المناهج، وتطبيق أساليب تعلم اجتماعية، كالمشروعات التعاونية لتوثيق العلاقات، وتوفير بيئة داعمة تشجع الانتماء، في فصول داعمة يتعلم فيها الطلاب من بعضهم.

ومن المهم تدريب القادة والمدربين، وتمكينهم من تشجيع التواصل الاجتماعي وتنفيذ برامج لهذا الغرض



الافتراضي، وتشجيعهم على التعبير عن حاجاتهم ومشاعر الوحدة والعزلة التي قد تعترضهم.

وعلى الأفراد، المساهمة في جعل التواصل الاجتماعي قيمة مجتمعية جوهرية من أجل تنمية الصحة والسلامة الفردية، وتحسين مخرجات التعليم والاقتصاد، ليصبح الناس أكثر سعادة وازدهارًا، وبينون المجتمع بصورة أفضل.

ختامًا، إذا أردنا السعادة، لا بد من وقت نقضه مع الناس، ووقت مع الذات، ووقت للعزلة لنلمس مشاعرنا العميقة ونستوعب ما يحدث لنا، ونقلب أفكارنا ونغير اتجاهاتنا، وننمي خيالنا الإبداعي الذي يمنحنا المرونة. وبدلاً من الاستمرار في وضع عائق مع الوحدة، علينا البحث عمّا يجعل الوقت يمضي بيسر ومتعة. ولا بأس من متع كالسوق وارتياح السينما، وحضور عروض مسرحية. والتمتع بجمال الطبيعة.. ولهذا نقترح "هاسون" أن نعلم الأطفال متعة البقاء مع الذات مثلما نعلمهم المهارات الاجتماعية. ■

<sup>(١)</sup> كلية التربية، جامعة الإسكندرية / مصر.

#### المراجع

<sup>(١)</sup> الشعور بالوحدة مرض العصر في عصر أكبر عدد وسائل تواصل، أسماء سلامة (١٢ يناير ٢٠٢٣)، موقع إيجاز (https://egazze.com).

<sup>(٢)</sup> الشعور بالوحدة ظاهرة مرضية متزايدة وهم من هموم الصحة العامة، أمينة التيتون (٢٠٢٤)، مجلة العربي، العدد: ٧٨١.

تُقيّم وتحسّن باستمرار، وتوفير مصادر لتثقيف القوى العاملة بأهمية التواصل، وإيجاد ممارسات وثقافة به، وإتاحة فرص لتخطي التحديات، كساعات العمل المرنة، والدمج بين العمل عن بعد والحضور.

وعلى منظمات المجتمع إيجاد فرص وإتاحة مساحات للتواصل الاجتماعي، ووضع برامج لتقوية العلاقات، وتوفير تعليم ومصادر وبرامج لأولياء الأمور والشباب والمعرّضين لخطر العزلة، بتنظيم فعاليات وبرامج تطوعية، وشبكات تواصل وفرص مشاركة مجتمعية، وعرض نماذج إيجابية.

ويتعين تشجيع شفافية المعلومات الخاصة بأثار التكنولوجيا على التواصل الاجتماعي، ودعم تنمية وتعزيز معايير ضمان بيئة رقمية آمنة، وتصميم تكنولوجيا تعمق الحوار والعلاقات بعيداً عن الصراعات.. وبناء محتوى يشجع التفاعل الاجتماعي الإيجابي والعلاقات الصحية، ويعزز قيم التواصل الطيبة والاحترام والالتزام، واستخدام الحكي في الأفلام والبرامج التلفزيونية، وتوجيه رسائل توعوية حول التواصل الاجتماعي ومخاطر العزلة، وضمان تقديم مواد علمية دقيقة بالتعاون مع المجتمع العلمي، وتجنب المواد التي تزيد من العزلة الاجتماعية.

ويمكن أن يلعب الآباء والأمهات دوراً مهماً في تشكيل خبرات التواصل الاجتماعي، والاستثمار في تنمية علاقات آمنة وقوية وصحية مع الأبناء، وتقديم نماذج يحتذى بها في حل الصراع البناء، وإنفاق الوقت معاً، والتواصل المستمر مع الأهل والأصدقاء والجيران، بعيداً عن التكنولوجيا أو وسائل التواصل الاجتماعي، والمشاركة في المناسبات المجتمعية، ومساعدة الأطفال على بناء علاقات قوية وآمنة مع الكبار -كالأجداد والمعلمين- وتشجيع التواصل الصحي مع الأنداد، ودعم الصداقات، وتشجيع الأنشطة الاجتماعية كأشطة التطوع والرياضات، وتأخير ارتباط الأبناء بمنصات التواصل الاجتماعي لصالح الأنشطة الواقعية، والحديث معهم عن التواصل الاجتماعي، والآثار السلبية للإفراط في التواصل

# السعادة الإنسانية عند النورسي

الوصول إلى السعادة غاية يسعى إليها البشر جميعًا، ومن ثم شغلت أذهان المفكرين والفلاسفة والمتكلمين عبر العصور، وتصور كل واحد منهم السعادةً حسب معتقداته ورؤيته للحياة. وممن انشغل بذلك من مفكري الإسلام أبو حامد الغزالي، وابن القيم، وابن رجب الحنبلي، وابن الجوزي، وغيرهم.. وامتد هذا الفكر إلى العصر الحديث، فحاول الوصول إلى كمال السعادة كل من ابن باديس، ومحمد إقبال، وأبو الحسن الندوي، وغيرهم كثير..





الوصول إلى السعادة غاية يسعى إليها البشر جميعًا، ومن ثم شغلت أذهان المفكرين والفلاسفة والمتكلمين عبر العصور، وتصور كل واحد منهم السعادة حسب معتقداته ورؤيته للحياة.

حذاء

الخير، فيقول: "فتح الله لك مائدة النعمة والسعادة واللذة الشاملة للأسماء الحسنی، والصفات الربانية المقدسة، ضمن دائرة الممكنات، ثم أعطاك المحبة التي هي نور من أنوار الإيمان، فأحسن إليك بمائدة نعمة وسعادة ولذة لا تنتهي أبدًا".

وإذا تباعدت عن الإنسان المحبة فسيجد السعادة في الإحسان: "فمن المعلوم أن الإنسان مثلما يتلذذ بسعادته الذاتية، فهو يتلذذ أيضًا بسعادة الذين يرتبط بهم بعلاقة ومحبة ومثلما يحب من ينقذه من البلاء، فهو يحب من ينجي محبيه من المصائب أيضًا. وهكذا، فإذا ما فكر الإنسان -وروحه مفعمة بالامتنان لله- في إحسان واحد فقط مما لا يعد ولا يحصى من الإحسانات العظيمة التي قد غمر بها الله ﷻ الإنسان وشمله بها؛ فإنه سيفكر على النحو الآتي: إن خالقي الذي أنقذني من ظلمات العدم الأبدي، ومنحني منحة الخلق والوجود، ووهب لي دنيا جميلة أستمتع بجمالها هنا على هذه الأرض، فإن عنيته أيضًا ستمتد إليّ حين يحين أجلي، فينقذني كذلك من ظلمات العدم الأبدي والفناء السرمدی، وسيهب لي -من فضل إحسانه- عالمًا أبدیًا باهرًا زاهرًا في عالم البقاء في الآخرة.. وسينعم عليّ سبحانه بحواس ومشاعر ظاهرة وباطنة لتستمتع وتتلذذ في تنقلها بين أنواع ملذات ذلك العالم الجميل الطاهر. كما أنه سبحانه سيجعل جميع الأقارب، وجميع الأحبة من بني جنسي الذين أكن لهم حبًا عميقًا وأرتبط معهم بعلاقة وثيقة، سيجعلهم أهلًا لهذه الآلاء والإحسانات غير المحدودة.. وهذا الإحسان -من جهة- يعود عليّ كذلك، إذ إنني أتلذذ بسعادة أولئك وأسعد بها.. فما دام في كل فرد حب عميق وافتتان بالإحسان كما في

إذ سطوروا ذلك في أدبياتهم، مثل علامة عصره ورباني زمانه الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي.

يرى النورسي أن الرحمة بين الناس والشفقة على الولد ومحبته من أعظم المنن الجالبة للسعادة: "فمحبتك لمن استودعك الله إياهم أمانة لتقوم بتربيتهم ورعايتهم، إنما هو حب مكمل بالسعادة والبهجة، وهو نعمة إلهية في الوقت نفسه. فإذا شعرت بهذا، فلا يتتابك الحزن على مصابهم ولا تصرخ متحسرًا على وفاتهم؛ إذ إن خالقهم رحيم بهم حكيم في تدبير أمورهم، وعند ذلك تقول إن الموت بحق هؤلاء لهو سعادة لهم، فتتجو بهذا من ألم الفراق وتفتكر أن تستدر رحمته تعالى عليك".

فإذا استوى عند امرئ المنع والمنح رضا بالقضاء، أحس بتمام السعادة، وهذا ما صنعتته أم سليم ﷺ عند فقدها ولدها؛ فعن أنس بن مالك ﷺ قال: اشتكى ابن لأبي طلحة فمات وأبو طلحة خارج، فلما رأته امرأته أنه قد مات هيأت شيئًا ونحّته في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال كيف الغلام؟ قالت قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وظنّ أبو طلحة أنها صادقة، قال فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلّى مع النبي ﷺ ثم أخبر النبي ﷺ بما كان منهما، فقال رسول الله ﷺ: "لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما"، قال سفيان: فقال رجل من الأنصار فرأيت لهما تسعة أولادٍ كلهم قد قرأ القرآن. (رواه البخاري)

والسبب في تلك السعادة بهذه الكيفية، أنها تزيد المخلوق تعلقًا بالخالق، فيخرج من الحالة البشرية ليقترّب من الحالة الملائكية: "فللملائكة سعادة عظمى، إلى درجة لا يدركها عقل البشر ولا يستطيع أن يعرفها إلا المَلَك نفسه، وذلك فيما يعملون من عمل بأمر معبودهم، وفي الأعمال التي يؤدونها في سبيله، والخدمات التي يقومون بها باسمه، والإشراف الذي يزاولونه بنظره، والشرف الذي يغنمونه بانتسابهم إليه، والتفسيح والتتزه الذي ينالونه بمطالعة مُلكه وملكوته، والتنعم الذي يحصلون عليه بمشاهدة تجليات جماله وجلاله".

ويرى النورسي سهولة الوصول لذلك بالتلذذ بمداومة الذكر بأسماء الله الحسنی، ثم بمحبته ومحبة



يكون للمحتاجين وبخاصة كبار السن، فيقول: "أما رعاية الشيوخ والاعتناء بهم، فضلاً عن كونه مداراً لشوَاب عظيم -وبخاصة الوالدين- والظفر بدعائهم وإسعاد قلوبهم والقيام بخدمتهم بوفاء وإخلاص، يقود صاحبه إلى سعادة الدنيا والآخرة، كما هو ثابت بروايات صحيحة وفي حوادث تاريخية كثيرة. فالولد السعيد البار بوالديه العاجزين سيرى الطاعة نفسها من أبنائه، بينما الولد العاق المؤذي لأبويه -مع ارتداده إلى العذاب الأخروي- سيجد كذلك في الدنيا مهالك كثيرة. نعم إنه ليست رعاية الشيوخ والعجائز والأبرياء من الأقربين وحدهم، بل حتى إذا صادف المؤمن شيخاً مريضاً ذا حاجة جديراً بالاحترام، فعليه القيام بخدمته بهمة وإخلاص ما دامت هنالك أخوة إيمانية حقيقية وهذا مما يقتضيه الإسلام".

ويبدأ الإمام النورسي بنفسه ليعطينا القدوة فيخاطب الشيوخ بقوله: "أبشروا فإن أمامكم شباباً خالداً ذا نضارة، وفي انتظاركم سعادة أخروية دائمة باقية هي أسمى مما فقدتموه من أنواع السعادة وأعلى منها، فاهلموا واسعوا للفوز بها"، فيحول بكاءهم إلى بهجة وفرح. وما صنع النورسي ذلك مع الشيوخ إلا ليخرجهم بالأمل من ظلمات المرض والكسل واليأس، التي تلازم سن الشيخوخة، فيرى أن "الأمل المندرج في حسن الظن ينفخ الحياة في الحياة، بينما اليأس المخبوء في سوء الظن ينخر سعادة الإنسان ويقتل الحياة".

ويُعَوِّل بديع الزمان النورسي على النساء حيث غرائز الرحمة والشفقة، فيقول: "والنساء هن رائدات الشفقة وبطلات الحنان، فإذا ما بدا الإخلاص في تلك الطائفة المباركة -طائفة النساء- فإنما سيكون مدار سعادة عظمى في المحيط الإسلامي". وما ذهب النورسي إلى ذلك، إلا أنه يرى أن سعادة الكون تبدأ من المحيط الأصغر "الأُسرة"، وفي ذلك يقول: "إن الحياة العائلية هي مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولبها، وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجؤها الأمين، وإن بيت كل فرد هو عالمه ودنياه الخاصة، فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلا بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين

المثل "الإنسان عبد الإحسان"؛ فلا بد أن الإنسان أمام هذا الإحسان الأبدي غير المحدود، يعيش في سعادة أبدية". وإلى هذا، أشار القرآن في قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦٠)، وفي الحديث الشريف: "إن الله كتَبَ الإحسانَ على كل شيء" (رواه مسلم). والتضحية صنو الإحسان، ومن ثم يقول النورسي: "وكذا رأيتني قادراً على الإحساس بسعادة غير محدودة، ناشئة من سعادة جميع أحبائي -الذين أضحي بحياتي وبقائتي بكل رضى وسرور من أجل سعادتهم- وذلك بوساطة الشعور الإيماني والانتساب والارتباط والعلاقة والأخوة؛ إذ الصديق الرؤوف يسعد بسعادة صديقه الحميم ويتلذذ بها. ولهذا فإنه بقاء الباقي ذي الكمال وبوجوده، ينجو جميع ساداتي وجميع أحبائي، وهم الأنبياء عليهم السلام والأولياء والأصفياء وفي مقدمتهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، وينجو جميع أحبائي الذين لا يحصون، ينجون كلهم من الإعدام الأبدي وينالون سعادة سرمديّة خالدة، فأحسست بذلك الشعور الإيماني، فانعكس عليّ شيء من سعادتهم وتذوقتها ذوقاً خالصاً، فغمرتني سعادة عظمى بسبب تلك العلاقة والأخوة والارتباط والمحبة". ويرى الأستاذ النورسي أن أفضل مظاهر العطاء



تعالى: ﴿لَتَجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (طه: ١٥)، ويوضح النورسي ذلك بقوله: "ما دام الله موجودًا، وهو واحدٌ أحدٌ أزلي أبدي، فلا بد أن محور سلطان ألوهيته - وهو الآخرة - موجود أيضًا.. وما دامت الربوبية المطلقة تتجلى في هذه الكائنات ولا سيما في الأحياء، وهي ذات جلال وعظمة وحكمة ورأفة ظاهرة واضحة، فلا بد أن هناك سعادة أبدية تنفي عن الربوبية المطلقة أي ظن بكونها تترك الخلق هملاً دون ثواب، وتبرئ الحكمة من العبث، وتصون الرأفة من الغدر.. أي إن تلك الدار موجودة قطعاً، ولا بد من الدخول فيها". ■

(٢) أستاذ جغرافيا الأديان، وكيل كلية الآداب، جامعة دمنهور / مصر.

#### المراجع

(١) رسائل النور (الكلمات)، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٧م.

(٢) رسائل النور (اللمعات)، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٧م.

(٣) رسائل النور (الشعاعات)، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٧م.

الجميع، والرأفة الصادقة". و"سعادة العائلة في الحياة واستمرارها، إنما هي بالثقة المتبادلة بين الزوجين، والاحترام اللائق والود الصادق بينهما". و"الزوج الرشيد لا يبني محبته لزوجته على جمال ظاهري زائل لا يدوم عشر سنوات، بل عليه أن يبني مودته لها على شفقتها التي هي أجمل محاسن النساء وأدومها، ويوثقها بحسن سيرتها الخاصة بأوثقها، كي تدوم محبته لها كلما شابت تلك الزوجة الضعيفة، إذ هي ليست صاحبه ورفيقته في حياة دنيوية مؤقتة، وإنما هي رفيقته المحبوبة في حياة أبدية خالدة. فيلزم أن يتحبا باحترام أزيد ورحمة أوسع كلما تقدما في العمر. أما حياة الأسرة التي تربي في أحضان المدينة الحديثة فهي معرضة للانحيار والفساد، حيث تبنى العلاقة فيها على صحبة مؤقتة يعقبها فراق أبدي". وجعل النورسي مرد كل ذلك إلى التربية فقال: "وفحوى هذه الجمل التي وردت بهذا المعنى في رسائل النور هو أنه لا يمكن أن يكون - في هذا الزمان - تنعم بحياة عائلية وبلوغ لسعادة الدنيا والآخرة وانكشاف لسجايا راقية في النساء، إلا بالتأدب بالآداب الإسلامية التي تحددها الشريعة الغراء".

بعد أن فصل الإمام النورسي لنا مفهوم السعادة وسبل الوصول إليها، يشرع في الأخذ بأيدينا إلى "دار السعادة" فيقول: "ورأيت أن الموت لأهل الإيمان تسريح من الوظيفة، والأجل هو بطاقته. فالموت - إذن - تبديل مكان ومقدمة لحياة باقية وباب إليها، وهو انطلاق من سجن الدنيا إلى بساتين الآخرة، وهو انتظار زمن الوصول إلى ديوان الرحمن الرحيم لاستلام أجرة العمل، وهو دعوة إلى دار السعادة".

وإذا كان ابن قيم الجوزية قد دلنا على "مفتاح دار السعادة"، فإن النورسي يرى أن أسنان ذلك المفتاح في يد الرسول ﷺ صاحب الشفاعة، فيقول: "إن إعطاء المقام المحمود لسيدنا الرسول ﷺ، إشارة إلى شفاعته الكبرى لأمتة عامة، فهو - إذن - ذو علاقة مع سعادة جميع أمتة. ولهذا فإن طلبه أدعية الصلوات غير المحدودة والرحمة غير المحدودة من أمتة، هو عين الحكمة".

والسعادة الأبدية في الآخرة لها غاية، وهي قوله

## كيف نتخلص من رفة العين؟

رفة العين أو ررفة العين؛ هي ومضات أو تشنجات لا إرادية وطارئة في جفن العين، تكون أحياناً قوية تتسبب في إغلاق الجفون تماماً ثم فتحها من جديد، ويستمر التشنج لدى بعض الناس طوال اليوم، وقد يمتد أياماً أو أسابيع وربما شهوراً. ولا شك أن استمرار رفة العين مزعج، وتقلصات العضلات المحيطة بالعينين تتسبب في حدوث غمزة أو حدوث حَوْل لا إرادي، وهو ما يزيد من صعوبة إبقاء العين مفتوحة، وقد يؤدي إلى ضعف في الرؤية. والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: لماذا ترف العين؟

تأتي رفة العين نتيجة اضطراب العصب المغذي لعضلات الجسم، ويحدث هذا الاضطراب لأسباب كثيرة، على رأسها التوتر العصبي الزائد والأرق، إذ إن عدم أخذ قسط كافٍ من النوم يعتبر من أهم الأسباب التي تؤدي إلى إجهاد العين وعضلاتها والجفون، خصوصاً إذا قلَّت ساعات النوم اليومية عن سبع ساعات



**رمشة العين هي أسرع حركة يمكن أن يقوم بها جسم الإنسان، حيث يقوم الإنسان بنحو ١٣,٥٠٠ رمشة في اليوم، ما يعادل ١٠-١٥ مرة في الدقيقة الواحدة.**

حذاء

عكس النوعين السابقين، يؤثر التشنج الوجهي في جانب واحد فقط من الوجه.

### رقة العين والفأل السيئ

هناك اعتقادات خاطئة حول مسألة رقة العين، إذ تفسر هذه الحالة عند بعض الناس أنها نذير شؤم، وأنها فأل سيئ على صاحبه.. وما زال يصدق في عقول الكثيرين، أن مَنْ يشعر بطنين في أذنه اليمنى فإن أحدًا ما يذكره بخير، وإذا شعر بالشعور نفسه في أذنه اليسرى فإن أحدًا ما يذكره بسوء، وكذلك حينما ترفُّ العين اليسرى فإنه سيرى شيئًا سيئًا (فأل شر). في حين وقف الإسلام عند بعض المسائل، وبينها ووضح تفاصيلها استنادًا إلى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ إذ جاء في هذا على لسان الكثير من العلماء والمفسرين، الذين اعتمدوا القرآن والسنة مرجعًا أوليًا لهم، أن لا علاقة لرقة العين بفأل الشر والمصيبة، بل هي مجرد أقوال مشؤومة، ويجدر بالمسلم الحذر منها، فلم ترد حجة من القرآن أو السنة تقرُّ هذا وتقبله. وقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام من هذا، حيث ثبت عنه أنه ﷺ قال: "لا عدوى ولا طيرة" (رواه أبو داود).

### رقة العين جرس إنذار

إن كانت رقة العين غير مؤلمة وغير مضرّة وغالبًا ما تزول بمفردها، إلا أنها مزعجة إلى حد ما، خصوصًا إذا كانت التشنجات قوية بما يكفي لإغلاق الجفون بشكل كامل ثم إعادة فتحها.

وقد حذرت الدراسات من أن يتحول الإزعاج المؤقت إلى تشنجات متكررة على مدار اليوم، يمكن أن تستمر لأيام أو أسابيع أو شهور، ويمكن أن يسبب ذلك اضطرابًا عاطفيًا كبيرًا. وأحيانًا تصبح حالة رقة العين مزمنة، وذلك في معظم صورها الخطيرة وإن كانت

متواصلة. ومن ضمن الأسباب أيضًا، الزيادة في تناول المشروبات التي تحتوي على مادة الكافيين، كالقهوة والشاي والمشروبات الغازية. أثبتت الدراسات أنه من الممكن أن تكون رقة العين ناتجة عن اضطراب عاطفي شديد أثر على عضلات الجفون وتسبب بحركة لا إرادية مؤقتة. كما تحدث رقة العين نتيجة وجود عيب من عيوب الإبصار، مثل قصر النظر، وطول النظر، أو نتيجة الاستجماتيزم. أيضًا يمكن حدوث رقة العين مع التركيز الشديد، خاصة في الأشياء القريبة، كاستخدام أجهزة الكمبيوتر أو القراءة، وذلك دون منح فترة راحة للعين. وينصح للمريض الذي يعاني من رقة العين استشارة الطبيب لا سيما إذا استمرت فترة طويلة، حيث يستطيع الطبيب استبعاد الأمراض العضوية، مثل حساسية العين، وجفاف العين، وعيوب الإبصار.

### أنواع رقة العين

لرقة العين ثلاثة أنواع: رقة العين الثانوية ويربط سبب حدوثها غالبًا بعوامل نمط الحياة، كالإعياء، والضغط العصبي، وقلة النوم، واستخدام الكحول أو التبغ أو الكافيين، أو يمكن أن ينتج أيضًا عن تهيج سطح العين، أو الأغشية التي تبطن منطقة الجفون.

تشنج الجفن الحميد، ويظهر عادة في منتصف مرحلة البلوغ إلى أواخرها، ثم يزداد سوءًا تدريجيًا. وتكون احتمالية الإصابة به عند النساء ضعف احتمال الإصابة به عند الرجال، وهذه الحالة عادة غير خطيرة. تبدأ هذه الحالة عادة بوميض دون توقف أو تهيج في العين، وعندما يزداد الأمر سوءًا قد تكون العين أكثر حساسية تجاه الضوء، وتصبح الرؤية غير واضحة، ويحدث تشنج في الوجه. وفي الحالات الخطيرة يمكن أن تصبح تشنجات العين شديدة، ما يؤدي إلى بقاء الجفون مغلقة مدة تصل إلى عدة ساعات. وتشمل الأسباب التي تؤدي إلى الإصابة بتشنج الجفن الحميد، الإعياء، والضغط العصبي، والضوء الساطع، أو الرياح، أو تلوث الهواء.

التشنج الوجهي، هو نادر ويحدث في كل العضلات الموجودة حول الفم والجفن، ويكون السبب غالبًا تأثير الشريان الذي يضغط على العصب الوجهي. وعلى



• ضرورة الإكثار من أكل الفاكهة والخضروات الطازجة، ومنتجات الألبان والأسماك؛ لأن مثل هذه المأكولات، لها فائدة عظيمة في المحافظة على سلامة العينين وصحتهما.

• أما إذا كان سبب رفة العين سبباً مرضياً ناجماً عن مرض معين، فإنه يتم معالجة المرض واستخدام الأدوية للتخلص من الرفة.

الخلاصة أنه لا يوجد تفسير طبي للربط بين رفة العين وحدوث شيء مستقبلي، ولكن قد يكون هذا الارتباط نتيجة التوتر العصبي الذي يعاني منه هذا المريض. هذا عن رفة العين، فماذا عن رمش العين أو برَبَشَتها؟

### رمش العين أو برَبَشَة العين

الرمش عبارة عن عملية نصف لا إرادية تظهر في صورة إغلاق جفن العين بسرعة، تتم عن طريق تثبيط عمل عضلة رافعة الجفن العلوية مع تنشيط عمل العضلة الدائرية حول العين، وهي عملية هامة للعين حيث إنها تساعد على انتشار الدموع عبر العين، كما أنها تزيل المواد المهيجة من على سطح القرنية. وقد يكون لها وظائف أخرى، حيث إنها تحدث باستمرار وبمعدل عال، وذلك لإبقاء على العين في حالة تشحيم دائم.

يعتقد الباحثون أن الرمش قد يساعد على فك أو فصل التركيز، حيث وُجد أنه مع بداية الرمش يقل نشاط قشرة المخ في الشبكة الخلفية، ويزداد نشاطها في شبكة الوضع الافتراضي المختص بالمعالجة الداخلية. وهناك نوعان من الرمش: التلقائي ويحدث دون الحاجة إلى مؤثر خارجي أو مجهود داخلي (تلقائياً) مثل التنفس والهضم، والرمش المنعكس ويحدث كاستجابة لمؤثر خارجي مثل لمس القرنية وظهور شيء أمام العين بسرعة، ويحدث بسرعة تفوق سرعة الطَّرْف التلقائي.

ورمشة العين هي أسرع حركة يمكن أن يقوم بها جسم الإنسان، حيث يقوم الإنسان بنحو ١٣,٥٠٠ رمشة في اليوم، ما يعادل ١٠-١٥ مرة في الدقيقة الواحدة. وهذه الحركة المألوفة والغامضة في الوقت نفسه، ليست كما كان يُعتقد سابقاً، مجرد نشاط شبه تلقائي وغير واع لترطيب قرنية العين، فالرمش لا يزال لغزاً

غير شائعة نسبياً؛ إذ يمكن أن تسبب الغمز والتحديق المستمر، وفي حال تطور الحالة ووصولها إلى مرحلة صعوبة إبقاء العين مفتوحة، يمكن أن تسبب ضعفاً شديداً في الرؤية.

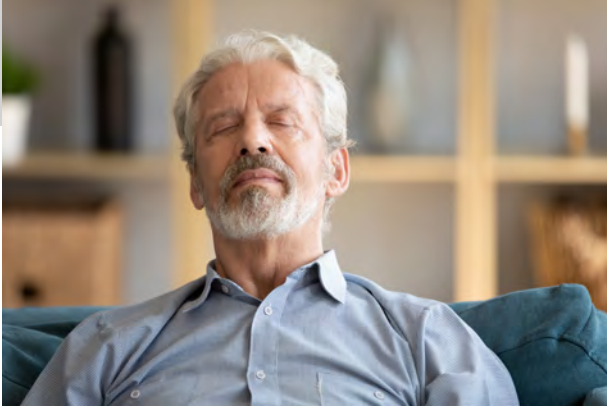
ولفتت الدراسات إلى أن رفة العين في بعض الأحيان تعدّ دليلاً على وجود حالة مرضية خاصة بالعين، مثل التهاب جفن العين أو جفاف العين أو الحساسية تجاه الضوء أو التهاب ملتحمة العين، كما يمكن أن تكون في بعض الحالات النادرة علامة على اضطراب في الأعصاب أو الدماغ، علماً أنها قد تكون أحد الأعراض الجانبية لأدوية معينة، أكثرها شيوعاً العقاقير التي تستخدم في معالجة الذهان والصرع.

### كيفية التخلص من رفة العين

لعلاج هذه الحالة لا بد من تقليل المشروبات المحتوية على الكافيين، وتقليل التوتر العصبي، ولا يُنصح باستخدام أدوية إلا في الحالات المرضية التي تؤدي إلى انغلاق العين، بحيث يحدث تشنج في عضلات الجفون، مما يؤدي إلى انغلاق العين وتأثر الرؤية، وفي هذه الحالة قد يلزم حقن الجفون بمادة البوتكس، أو إجراء جراحات مختلفة للجفون في الحالات الشديدة.

• إن السهر والإرهاق عدوان حقيقيان لعينيك؛ لذلك لا تُجهِد عينيك بالانهماك في القراءة، أو الرسم، أو مشاهدة التلفزيون، أو العمل على جهاز الحاسب الآلي، أو استخدام شبكة الإنترنت لفترة طويلة؛ لأن هذا يضر العين ويسبب إجهادها.

• اعطِ جسمك القسط الكافي من الراحة والنوم.



ضرراً دائماً تمثل برمش غير منتظم، وقد شغل هذا الإزعاج مخيلة "كيرنز": لماذا لا تكون هناك مساحات تعمل بشكل متقطع كل بضع ثوان تماماً كرمش العين الطبيعية؟ وتقدم بفكرته هذه إلى شركة "فورد" للسيارات، وتقاضى نتيجة ذلك عدة ملايين من الدولارات.

### هل الرمش استراحة ذهنية؟

قبل بضع سنوات لاحظ الدكتور "جون ستيرن"، رائد أبحاث رمش العين والأستاذ الفخري في علم النفس بجامعة واشنطن في سانت لويس، أننا "عندما نحمل في ذهننا معلومات مهمة أو نكون في حالة انتباه شديد، فإننا نرمش أقل. فالطيارون (الحربيون) الذين يحلقون فوق منطقة صديقة -على سبيل المثال- يرمشون أكثر مما لو كانوا يطيرون فوق أرض العدو، لأن هناك معلومات أقل أهمية يجب التنبه إليها". لذلك حَمَّن الباحثون أننا قد نرمش من دون وعي للحصول على نوع من استراحة ذهنية، وذلك بإغلاق المنبهات البصرية في الدماغ لفترة قصيرة، لتتمكن من التركيز بشكل أفضل في اللحظة التالية. ■

(٢) استشاري في طب وجراحة العيون / مصر.

### المراجع

- (١) كتاب كلام في العيون، د. محمد السقا عيد، تحت الطبع.  
 (٢) مجلة القافلة السعودية، رمش العين لا يزال لغزاً، العدد: يوليو-أغسطس ٢٠١٩م.  
 (٣) رغم محاولات فكّها.. ألغاز رمش العين لا تزال مستعصية، العربية.  
 (٤) رفة العين.. جرس إنذار، جريدة الصباح، ١٣ ديسمبر ٢٠١٧م.  
 (٥) رفة العين ما بين العلم والخرافات، سطور.

فسيولوجياً لمعظم علماء اليوم.

### الأبحاث العلمية حول رمش العين

لقد تكثفت الأبحاث العلمية حول رمش العين في الآونة الأخيرة نتيجة أهميتها في تقنيات الذكاء الاصطناعي والروبوتات وغيرها.. وعلى سبيل المثال، أدخلت برمجات "أدوبي فوتوشوب" في عام ٢٠١٧م ميزة "عيون مفتوحة مغلقة" إلى عناصرها الأخرى، لتتناسب مع رمش العين، ويُدرس مهندسو "فيسبوك" إدخال هذه التقنية أيضاً في المستقبل. كما أن ازدياد استخدام لغة الصور على نطاق واسع في مواقع التواصل الاجتماعي حول العالم -مثل الإيموجي وغيرها- دفع في الاتجاه نفسه. ويعتقد كثير من الباحثين أن الربط بين رمش العين وبعض التطبيقات الذكية، سيتعزز أكثر فأكثر في المستقبل.

والرمش هو أداة تواصل غير لفظي، حيث كشفت دراسة حديثة أن رمشة العين هي عبارة عن اتصال غير شفهي مهم، وأنه عندما نتحدث إلى شخص ما، فإننا نستجيب دون وعي لرمشة العين.

وفي بحث أجراه "بول هومك" وزملاؤه من معهد ماكس بلانك الألماني، قسم علم اللغة النفسي في أواخر عام ٢٠١٨م، ظهر أن الرمش هو إشارات غير لفظية عند الدخول في محادثة، وغالباً ما يحدث عند التوقف الطبيعي خلالها. وتساءل "هومك" عما إذا كانت حركة صغيرة وشبه واعية مثل الرمش، يمكن أن تكون بمثابة تفاعل مع المتكلم، تماماً مثل الإيماء بالرأس.

### الرمش والابتسام

جاء في دراسة قامت بها مجموعة من العلماء من معهد مهندسي الكهرباء والإلكترونيات الأمريكي عام ٢٠١٣م، أن هناك دليلاً على وجود علاقة مؤقتة بين رمش العين وديناميكيات بداية الابتسام ونهايتها، حيث تحدث الابتسامات والرمش بتكرار عال أثناء التفاعل الاجتماعي، ولكن لا يُعرف كثيراً عن تكاملهما الزمني. ومن طرائف رمش العين، أن مخترع مساحات السيارة المتقطعة "روبرت كيرنز"، كان خلال ليلة زواجه عام ١٩٥٣م، يفتح زجاجة تحتوي على سائل مضغوط، فانطلقت سداداتها وضربت عينه اليسرى مسببة لها

## كأن القرآن يتنزل من جديد

تُرْحَمُونَ ﴿الأعراف: ٢٠٤﴾.

٢- التسامي بقرائه وتلاوته وترتيله: يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (البقرة: ١٢١)، ويقول تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تُرْتِيلًا﴾ (المزمل: ٤).

٣- تنمية العقل وتصفية القلب بتدبره: يقول تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩).

٤- إعمار الحياة بتشغيله وتحكيمه فيها: يقول تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥)، ويقول تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (الأنعام: ١٠٦).

منذ تكحلت أعين الزمان والمكان بنزول الذكر الحكيم، وما تواتر من مطلوبه إلى الناس أن يتدبروه ويفهموه؛ وهدير نوره لم ينقطع عن هذا الوجود الحي، يعمره بالهداية ويحيطه بالرحمة، ويستنقذه من العذاب والضيق.

والتعرض لهذا الهدير المنسكب من النور، متوافر السبيل؛ فقد شرع الله سبحانه للمؤمنين به، وشيد لهم منارات سامقة ضامنة لمن استهدى به أن يعمر قلبه وعقله وحياته كلها بهذا النور. وهذه المنارات هي مطلوب الله من الأمة نحو هذا الكتاب العزيز، وتتلخص صور هذا المطلوب فيما يلي:

١- الارتقاء والاستشفاء بالاستماع إليه: يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ





**إن فكرة "كأن القرآن ينزل من جديد" فكرة تعطف على الوعي بأن هذا القرآن هو الرحمة التي جاء بها النبي ﷺ إلى العالمين، وهو النور القادر على تبديد الظلام المتراكم حولنا.**

حراه

١- قيام الدليل على أن الذكر الحكيم هو الكتاب الخاتم للوحي، ولما كان الأمر كذلك استقر أن هذا الكتاب هو منهج مواجهة الأزمات على امتداد الزمان.

٢- قيام الدليل على وعي علماء أصول التفسير وعلماء علوم القرآن الكريم بأن القرآن الكريم يفسره الزمان، وأنه مرن حمّال أوجه، وأن من خصائصه كما جاء في الآثار أنه: لا يخلق على كثرة الرد، ومعنى هذه العبارة القاعدة: أنه لا يبلى، أي أنه متجدد دومًا.

٣- قيام الدليل من التجربة التاريخية في الأمة على نهوض أجيال الصحابة والتابعين ومن جاء بعد السلف من أجيال الخلف، بتفسير الكتاب العزيز وتنويع منهجيات هذا التفسير ورعاية للمطالب المستجدة في الأمة، ومواجهة للنوازل والحداثات والأزمات.

ومن ثم نقرر أن الدعوة إلى تفسير الكتاب العزيز تفسيرًا حضاريًا، مطلب ملح ولا سيما أننا نعيش أجواء قرون مظلمة، يتعرض فيها العالم الإسلامي لتهديد "زوال هويته الحضارية" على حد تعبير الدكتور "خالص جلبي" في كتابه "في النقد الذاتي.. ضرورة النقد الذاتي للحركة الإسلامية".

**كأن القرآن ينزل من جديد: إستراتيجيات العمل**

إن الدعوة أو الفكرة التي تقرر أن الأمة مطالبة أن تشغل مفهوم التنزل المتجدد للقرآن الكريم، لتستهدي به في مواجهة التهديدات الوجودية، تنهض على تنفيذ الإستراتيجيات التالية:

أ- تشغيل قاعدة القرآن يفسره الزمان؛ أي النظر في الكتاب كله استلهامًا لسننه الحضارية الكونية، لاستنباط تفسير يواجه مطالب اللحظة المأزومة الراهنة.

ب- تشغيل قاعدة القرآن تفسره قواعد اللسان، ولا سيما بعد التطور المذهل الذي حققته اللسانيات أو

**هل ثمة حاجة إلى تفسير جديد للقرآن؟**

منذ نزل الكتاب العزيز وهو مشغلة رسول الله ﷺ قراءة وجمعًا له في صدره، وبلاغًا وبيانًا إلى الناس، وحركة وتشغيلًا في الوجود.. ثم لحق بربه الكريم بعد أن أدى الأمانة ووفى الأداء على الغاية، ثم أظل الوجود زمان الصحابة عليهم الرضوان، وإذا بهم ينهضون من جديد بتفسير الكتاب العزيز فيما عرف تاريخيًا باسم تفاسير الصحابة؛ فتفجرت المسألة! هل ثمة حاجة إلى تفسير جديد للقرآن الكريم؟! وكان الجواب على الإجمال أن: نعم ونعمًا ونعمي عين. وكانت ثمة إشارات على طريق الجواب المفصل الذي سنعالجه هنا، وهذه الإشارات هي:

أولاً: تواتر الأخبار بتنزل جبريل ﷺ، وجبريل هو أمين الوحي الذي نزل بالذكر الحكيم على قلب النبي ﷺ وتعهد إيصاله إليه، وتعهد القيام على أمر تثبيته في الأرض. وهذا التنزل استمر منذ زمان التنزيل أيام نهوض النبي ﷺ بدعوة ربه، واستمر إلى يوم الناس، هذا فيما أخبرت به سورة "القدر"، يقول تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا﴾ (القدر:٤)؛ يقول الطاهر بن عاشور في "التحرير والتنوير": "والتعبير بالفعل المضارع في قوله تعالى ﴿تَنزِيلُ الْمَلَائِكَةِ﴾ مؤذن بأن هذا التنزل متكرر في المستقبل بعد نزول هذه السورة".

ثانيًا: استعلان أمر تغير الأزمان، وحدوث الحداثات، وظهور المشكلات التي لم تكن من قبل، والكتاب العزيز منهج خاتم لا منهج بعده، والأمة مأمورة بالتهدي بهديه.

ثالثًا: استقرار أصل تفسير الكتاب العزيز وفق قاعدة "القرآن يفسره الزمان" كما قرر سادتنا علماء أصول التفسير فيما جاء مرويًا عن ابن عباس رضي الله عنهما.

**الدلائل القائمة على الحاجة المستمرة لتدبر القرآن**

الدلائل القائمة على الحاجة المستمرة لتدبر القرآن الكريم على هدي الإيمان بتنزله المتجدد؛ بهذا المعنى، إن فحص الدلائل على طريق الجواب المفصل عن سؤال الحاجة إلى تفسير جديد للكتاب العزيز يتأسس على رعاية الزمان، يكشف عن ظهور الدلائل التالية:

العلوم اللغوية؛ إن على المستويات اللغوية الصوتية؛  
والصرفية والتركيبة والمعجمية والدلالية، وإن من  
منظور المنهجيات والمدارس اللسانية؛ السياقية والنصية  
والتداولية وغيرها.

### نماذج عملية

إن فحص هذه الدعوة الجديدة للتشغيل الحضاري  
لتفسير الكتاب العزيز على خلفية الوعي بتنزله المتجدد  
بهذا المعنى، الذي يتقرر معه قدرته على مواجهة أزمات  
الوجود الراهنة والمستقبلية، بوصف ذلك ترجمة لكون  
القرآن الكريم الكتاب الخاتم، وترجمة لحقيقة تنزل  
جبريل المستمر بعد انقطاع الوحي أو بعد انقطاع التنزل  
بالمعنى الحقيقي، وهو الأمر الذي يفتح الأفق أمام  
القول بتنزله المتجدد بمعنى قابليته لمواجهة مشكلات  
الوجود الحضارية، وهي القابلية التي ينهض بها تفسيره  
في ظل قواعد اللسان وقواعد الزمان. وفيما يلي نماذج  
عملية لتشغيل هذه الفكرة:

١- الحاجة إلى التفسير الحضاري: إن تأمل القرآن  
الكريم وتدبره، يقود إلى إمكان القول بأنه ينهض  
بالتأسيس لأمرين يمثلان عصب التفسير الحضاري وهما:  
أ- ركيزة تأمين الحياة الإنسانية، وهو ما يمكن أن نلمسه  
بصورة واضحة في قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ  
الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ٣-٤)؛  
وهو ما يعني أن القرآن المكي يرى أن الأمر بعبادة الله  
تعالى إنما تكون بعد استقرار الحياة الإنسانية، وضمان  
توفير مادة بقائها فيما حققه لها الله من إجراءات الحصول  
على الطعام، وتأمين النفس من المخاوف والتهديدات.

ب- ركيزة تنمية الملكات الإنسانية: وتأتي هذه الركيزة  
لتمثل الركن الثاني الذي ينهض بتنمية الإنسان من طريق  
تنمية ملكاته العملية (جوارحه)، وتنمية ملكاته العقلية  
(بتطوير العلم)، وتنمية ملكاته النفسية (بتركيته).

وقراءة الذكر الحكيم في ضوء هذه المرتكزات  
الثلاثة يكشف عما يلي:

- انتشار الدلالة على عمل الأنبياء اليدوي في  
الميادين الإستراتيجية الصناعية؛ فإبراهيم وإسماعيل  
عليهما السلام نهضا بصناعة الإنشاء والتشييد والعمارة،

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ  
وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (البقرة: ١٢٧)، ودادو عليه السلام نهض بصناعة  
الحدادة؛ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ (الأنبياء: ٨٠)، وتواتر  
الدعوة إلى التزود من العلم؛ ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي  
عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤)، وتواتر حيطة الأمر بالتزكية؛ يقول  
تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الأعلى: ١٤).

٢- الاهتمام بالقرآن في مواجهة التوتر وإدارة مراحل  
الانتقال، يكشف منهج التعامل مع الكتاب العزيز من  
منظور مفهوم التنزل المتجدد وتطبيقاته، عن إمكان  
الاهتمام به في مواجهة أجواء التوتر الحاصل في الأمة،  
وتتلخص مسارات مواجهة هذه الأزمة فيما يلي:

أ- إعادة الاعتبار لكليات القرآن الإيمانية،  
بوصفه يهدي إلى الصراط المستقيم: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ  
الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦)، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ﴾ (يونس: ٢٥).

ب- إعادة استلهام قصص الأنبياء، التي تحكي قصصاً  
تتعلق بحقب متوترة ومحتقنة تشيع فيها الفتن والأزمات،  
يقول تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ (الشعراء: ٦٥).

ج- استخراج السنن القرآنية الحاكمة في إدارة المراحل  
الفارقة في الأمة، ومنها المراجعات وتصحيح الأخطاء،  
وفي آيات بدر وحنين نماذج باذخة على ذلك، وضرورة  
التوبة العامة، وضرورة عدم الاستجابة للفتن.

٣- تجديد الإسلام في ضوء التنزل المتجدد: إن تدبر  
الكتاب العزيز في ضوء مفهوم التنزل المتجدد، يوجب  
علينا إعادة تأمله جيداً، للخروج بمنهجيات واضحة في  
الميادين التالية:

أ- صناعة الإنسان أو بناؤه.  
ب- تحرير الأوطان وتحقيق استقلالها الحضاري التام.  
ج- مقاومة الطغيان بكل أشكاله.  
د- إعادة الاعتبار لل عمران المحقق للبهجة الآمنة.

إن فكرة "كأن القرآن يتنزل من جديد" فكرة تعطف  
على الوعي بأن هذا القرآن هو الرحمة التي جاء بها  
النبي ﷺ إلى العالمين، وهو النور القادر على تبديد  
الظلام المتراكم حولنا. ■

\*) أستاذ العلوم واللغة بكلية الآداب، جامعة المنوفية / مصر.

## عمر الخيام مؤسس المتوازيات

الجزئي -اللازم لدراسة سبك المعادن وتشكيلها- الذي ينصب رأساً حول رفع كفاءة الألومنيوم، الذي صار مع النحاس والطاقة الكهربائية عنوان الصناعة المتطورة. شكلت "المتوازيات" محور تطبيقات "نيقولا تسلا" مخترع القرن العشرين، المنصبة على كهرة كل جوانب الحياة. وهي التطبيقات التي جعلت الكهرباء تشغل اقتصاديات العالم حاليًا بنسبة لا تقل عن ٩٥٪، حيث تشكل الإنارة والأجهزة الكهربائية المختلفة ٧٥٪ من حياتنا اليومية. وإذا كانت الشرارة الكهربائية اختراعًا سجله التاريخ لعمر الخيام، فسيسجل باسمه أيضًا سريان الكهرباء داخل المعادن الأربعة، وهي الحديد والنحاس والنيكل والبوكسيت، ما مكن تلميذه الأكبر "نيقولا تسلا" من كهرة كوكب الأرض بواسطة ١٣٠ مخترعًا له، أثارت الدنيا وشغلت الآلة، فما أدى لمضاعفة الناتج المحلي

يعدُّ تأسيس عمر الخيام لعلم المتوازيات أساس النهضة الصناعية العالمية الحاضرة. وهي النهضة التي اعتمدت تثير الكهرباء، بمعنى إمكانية توليد ميجاوات كامل من الكهرباء باستخدام ١٠ لترات فقط من الكيروسين. وإذا ما كان "الميجاوات" قادرًا على تشغيل خط إنتاج ألومنيوم، ينتج على مدار اليوم ٦ أطنان من سبائك الألومنيوم، التي تشكل عصب كل الصناعات الثقيلة. وإن القوانين الـ ١٧ التي وضعها عمر الخيام أساسًا للمتوازيات، تعدُّ بحق أساسًا للاقتصاد الإنتاجي في عالمنا المعاصر، وبخاصة أن "متوازيات الخيام" صارت الآن ١٥ علمًا تطبيقياً تدور جميعها حول الـ ١٧ قانونًا. لقد انبثق عن العلم الذي وضعه عمر الخيام؛ علم الهيدروليك، وفيزياء الجزئيات، وهندسة الجزئيات، وتقنيات التفاعل

ي

العالمي ٣ آلاف مرة على مدار العقود السبعة الماضية. وكان نجاح العلماء خلال الـ ٤٠ عامًا الماضية في تطوير ١٨ نوعًا من الألومنيوم، والمعروف بـ "مصهر النار"، أي إنه يطوع النيران في أغراض الصناعة دون أن تصهره النار أو تؤثر فيه وإن استمر اشتعالها طويلًا، فيصل سيطرة الدول الصناعية الثماني على كامل اقتصاد العالم. فما بين خصائص الألومنيوم الموجب الذي لا ينصهر إلا عند ٥ آلاف مئوية، والألومنيوم السالب الذي يبدأ في الانصهار عند ٤٣٦ مئوية، تتنوع كفاءات تسليط وتوظيف الكهرباء الجبارة، التي يمكن أن تطلق موجتين تعالجان صمم الأذن، ويمكن أيضًا أن تطلق ٢٠٠٠ موجة لا تنفجر القنبلة الهيدروجينية الأكثر تدميرًا في العالم دون انطلاقها. تعد "المتوازيات" أيضًا أساس صناعة الروبوت الذي قال فيه فيلسوف فرنسي معاصر "إنه الإنسان في صورته الرياضية"، حيث تأسست أحدث تصاميم الروبوت على قوانين الـ ١٧، التي وضعها عمر الخيام أساسًا لـ "المتوازيات"، والتي تعني ببساطة سلكين متوازيين يسري فيهما تيار كهربائي له نفس الشدة والسرعة، ويسري في أحد السلكين في اتجاه عكس اتجاهه في السلك الموازي، مما يؤدي لتولد طاقة عملاقة تشغل ماكينة طاقتها ٥ آلاف وات لمدة ساعتين بقدر محدود من الكيروسين لا يتجاوز ٣٠ لترًا. بفضل "حساب الطاقة المتعادل" الذي وضعه عمر الخيام، والذي يعني أن تلاحم شحنتين كهربائيتين لهما نفس الشدة والسرعة (٣٠٠ وات) -مثلًا- يولد طاقة تشغيل قدرها ١٥ ضعف طاقتيهما (٤٥٠٠ وات)، ما يمكن عمر الخيام منذ ١٠ قرون، من صناعة روبوت يشغل فرنًا لصهر الحديد مع النحاس، كان ينتج في "أصفهان" مسقط رأس "الخيام"، حوالي ٧٥٠ سبيكة في اليوم الواحد، اعتمادًا على المتوازيات التي كان لها أيضًا فضل تصميم محرك طائرة الركاب الأحدث، التي تضاعف سرعة الصوت ١١ ضعفًا، ويعمل محركها بـ ١٤ روبروتًا من نفس تصميم وأبعاد الروبوت الذي صممه عمر الخيام على مقاس جسده بالضبط.

كان عمر الخيام معتدل القامة نسبيًا (١٨٣) في ٤٥ سم، وكان الروبوت المصمم على مقاس جسده يراعي الرابط بين فسيولوجيا الجسم البشري، المبنية على ٣٣٣

إشارة عصبية/دقيقة، و٣٣٣ ذبذبة تصدر عن جزيئ النحاس كل دقيقة أيضًا إذا ما سرى خلاله تيار كهربائي. وحبد "الخيام" لذلك تناول أطعمة حاوية لنسب عالية من النحاس كأسماك الرنجة، والمحار المرتفع السعر قليلًا في عصرنا، حتى ينتظم صدور الـ ٣٣٣ إشارة مخية. وكان ذلك الربط سر نجاح تصميم "الروبوت الخيامي"، الجندي المجهول المشغل لأكثر من ١٣٨ آلة تدير أغلب حياتنا؛ حيث إن ٣ روبوتات خيامية تشغل الماكينة العملاقة التي تدير منظومة "الإنترنت"، والتي لا يتواجد منها سوى ٥ نسخ على مستوى العالم، إذ إنها منظومة تحميل مواقع التواصل الاجتماعي، وسعتها التشغيلية توازي ما تحويه ذاكرة المدى البعيد لـ ٣ مليار إنسان، أي ما يزيد على ٤ أضعاف السكان الحاليين لكوكبنا. ويتشكل جسمها من الألومنيوم وشرائح السليكون، ويتواجد منها نسخة في "بيجين"، ونسختين في "نيويورك" و"كلورادو"، وواحدة في كل من "استوكهولم" و"برلين"، وتحوي على ٥ مليون شريحة زجاجية ترتبط مع بعضها برقائق نحاس قطرها ملليمترين، تعمل بالطاقتين النووية والشمسية. ولا يمكن تشغيلها دون الروبوتات الثلاثة المحاكية لـ "الروبوت الخيامي"، وتنظم نقل ١٦٠ مليون مادة متلفزة/دقيقة عبر مواقع التواصل الاجتماعي بفضل "متوازيات الخيام".

كما أن تحديد خصائص الرقائق الزجاجية كان أيضًا اجتهادًا خياميًا، لأن العدسات المقعرة "زاوية ٤٥"، التي تمثل أساس صناعة المناظير الفلكية، تعتمد مباشرة على لحام ١٤ شريحة زجاجية من نفس الشرائح المستعملة في تصنيع منظومة التحميل المعلوماتية السابق الإشارة إليها، وكان "الخيام" صممها بدقة عام ٤٥٩ هـ، واستخدمها في تصميم أول "خزان شمسي" في التاريخ، لأنه كان عملية اختزان للسخونة المتولدة عن الشمس، لأجل الاحتفاظ بسخونة بئر كانت تضخ الماء لـ ٢٠٠ حمام عام في مدينة "أصفهان"، حيث الحرارة تنخفض شتاء إلى ٣ تحت الصفر. ومن العجيب أنهم بنوا بإرشاد "الخيام"، شبكة مجاري تشبه خطوط المياه التي لم تستحدث في أوروبا إلا في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، لضخ الماء الساخن لمغاطس الحمامات بواسطة روافع ميكانيكية كانت تعمل بـ "الروبوت الخيامي"، وقد استشفه علماء

روس في خمسينيات القرن الماضي، فيما عرف بـ"مشروع تسخالطوبو" الصحي في "جورجيا"، وقيل إنه ٢٠٠ ألف ماسورة تعالج ٧٠ مرضاً عضالاً، أداها "الروماتويد" وأعلهاها سرطان البروستاتا.

وكانت فكرة "الخيام" في توظيف "المتوازيات" لرفع ماء البئر، تقوم على فهم قوانين "علم المتناسبات" (الهيدرستاتيك) الذي وضعه أيضاً عمر الخيام. اكتشف عمر الخيام أن رفع الماء الجوفي الحاوي على ١٧ عنصراً علاجياً، منها الفوسفات والماغنيسيوم الأثقل في نواتهما من أي معدن آخر عدا اليورانيوم، أصعب من رفع أي من السوائل الأخرى، حيث إن نواة جزيئ الماء الجوفي تحوي على ٣٤٦ بروتونات، بما أفهم "الخيام" صعوبة رفع الماء من عمق "٣٠١ ذراع" إلى الحمامات المبنية على سطح الأرض، وكمن الحل في ٣ تروس عملاقة قطر كل منها ٢٥ متراً، تعمل بسرعة ١٢٠ لفة/ دقيقة بالروبوت الخيامي. وكان يلفها بتسارع مذهل بواسطة زنبرك يعمل بحرق الكيروسين (النفط الأصفر)، ما مثل أول آلة بخارية في التاريخ.

ولم يقتصر التطبيق الحديث لتلك الرافعة الخيامية على حمامات "تسخالطوبو"، إنما "الخيام" فتح المجال لاختراعات غيرت وجه البشرية حالياً، كجهاز تنشيط القلب المعدل المعروف بـ"إتش آي جي ٣٣"، الذي يشكل الألومنيوم ٩٥٪ من مكوناته، والذي قلل احتمالات الوفاة نتيجة ضعف عضلة القلب الرئيسية بمعدل ٩٠٪ على الأقل؛ بفكرة السلكين المتوازيين اللذين يثان ١٢٠ موجة كهربية/دقيقة داخل القلب، ما يؤدي لتوسيع الشريان الأورطي خلال ٤ جلسات، ويعدل ضغط الدم، وينظم أداء عضلة القلب الرئيسية. واستخدم هذان العلمان -كذلك- في "تكنولوجيا الدفع الحراري"، التي لم تكن سوى تطوير الطائرات المسيرة والمقذوفات الموجهة (الصواريخ). وعلاوة على قوتها التدميرية المشكلة لـ ٨٠٪ من نيران الحروب المعاصرة، فإنها توظف "المتوازيات" و"المتناسبات" معاً، حيث قامت فكرة الصاروخ على فهم خصائص الوقود، وأي وقود أسرع في حركة سوائله خلال اشتعاله بما يحدد مدى الصاروخ وسرعته، والذي يقتضي تشغيله زيادة ونقصان السرعة بمعدل سبع أعشار

الثانية، ما يجعل مستحياً على العنصر البشري أن يشغله. ولم يدخل المصممون حالياً على "الروبوت الخيامي" سوى سلكين من "النيكل كروم" داخله، لزيادة سرعة التشغيل. كما وأن "المتوازيات" أساس فهم مكن علماء فرنسيين عام ٢٠٢٢م، من تفضيل النحاس على الحديد في صناعة روبوت يشغل خط إنتاج ألومنيوم عملاق بمدينة "مارسيليا"؛ لأن النحاس بالغ التأثير بالشحنات الكهربائية، ما يجعله يزيد درجة حرارة "فرن التوليف" ٤ أضعاف، وهو الفرن الخاص بضبط خصائص عيدان الألومنيوم التي يجب ألا تنصهر إلا عند ٥٠٠٠ مئوية. كما أنها تستعمل في صناعة "المجسات الحرارية" الخاصة بإصدار الموجة العلاجية: قوة ١٢ وات، وحرارة ٣٨ مئوية بالضبط، والتي إن جاوزت هذا القدر فإنها تؤدي لتصلب الشرايين، وتعالج حتى الآن ١٤ عرضاً عصبياً أداها "التهاب الأعصاب الطرفية" و"العصب التمثاوي"، وأعلهاها "التهاب المخيخ السفلي" العضال.

إن "مشروع الحياة القطبية" الذي تبناه "روسيا" منذ ٢٠١٦م في "إقليم سيبيريا"، يهدف لإعاشة نصف مليون شخص لازمين لاستغلال مناجم النحاس والفحم ذوات الاحتياطي الهائل في الإقليم، يعتمد مفصلياً على آلات من "الألومنيوم+١٨"، وتعمل كلها بـ"المتوازيات".

و"الخيام" أيضاً هو من اكتشف خصائص "البوكسيت" عام ٤٦٣هـ، وسماه "المعدن الحار" أو "الفسق الصخري"؛ لونه الفسقي وخصيصة اكتسابه الفائق السرعة للحرارة. كما أن كُشف "الخيام" عن الاستشعار العالي للنحاس، رفع مكونه في الطائرات الحديثة إلى ٧٠٪ بعد أن كان ١٠٪ في طائرة الأخوين رايت، حيث يعمل استشعار النحاس العالي على زيادة سرعة احتراق وقود الطائرة ٦ أضعاف، ما يؤدي لزيادة سرعتها بنفس القدر. ■

(٤) كاتب وباحث مصري.

المراجع

(١) مخطوطة "توالي الفرق المعدني، عمر الخيام، مكتبة جامعة ستراسبورج الفرنسية.

(٢) نيقولا تسلا بين الفيزياء والكيمياء، مرجع بالفرنسية، صدر عن دار جاليمار، باريس ٢٠١٢م.

## الفضائل الإسلامية على التركيبة المعمارية

### تطبيقات وحسابات وتنوع

لقد اعتمد المعمار الإسلامي على النواحي التطبيقية لعلم الحيل، وهذا يتضح من خلال تشييد المساجد والمآذن والقباب والقناطر والسدود.. إذ برع المسلمون في تشييد القباب الضخمة ونجحوا في حساباتها المعقدة القائمة على طرق تحليل الإنشاءات القشرية، لأن تلك الإنشاءات المعقدة والمتطورة للعديد من القباب مثل قبة الصخرة بيت المقدس، وقباب مساجد الأستانة والقاهرة وحلب ودمشق والأندلس، التي تختلف اختلافاً كلياً في النواحي الكلية عن القباب الرومانية.. كانت تعتمد في أساسها على الرياضيات المعقدة، ما مكن البناة المسلمين من

جاء وصف العصر الذهبي للإسلام،

للدلالة على مرحلة تاريخية كانت الحضارة الإسلامية فيها متقدمة جداً،

والتي امتدت من منتصف القرن الثامن حتى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي، قام فيها العلماء والمهندسون بالمساهمة بشكل واسع في العديد من الحقول، من أهمها الهندسة والمعمار، وذلك بالمحافظة والبقاء على المساهمات السابقة، مع إضافة العديد من الاختراعات والابتكارات، الأمر الذي أوجد ثقافة فريدة من نوعها، أثرت بدورها وكان لها فضل واسع على المجتمعات شرقاً وغرباً وفي كافة القارات.

ج

**اكتُشف في قصر الحمراء بغرناطة أن أعمدته مفرغة من الداخل، وفيها قوالب من الرصاص الذي يصب منصهرًا، ما جعلها تمتص الصدمات العنيفة، أما الحوائط فأنشئت من الحجارة الحمراء والرملية على التوالي، ما مكنها من الصمود أمام الزلازل.**

حذاء

### مدن تتميز بعمارتها

لقد خلّفت الحضارة الإسلامية مدناً متحفية تعبر عن العمارة الإسلامية، مثل مدينة إسطنبول التركية بمساجدها، والقاهرة ودمشق بعمايرها الإسلامية المميزة. وكان تخطيط المدن سمة من سمات العمران في ظل الخلافة الإسلامية، التي امتدت من جنوب الصين حتى تخوم جنوب فرنسا عند جبال البرانس. وكانت المدن التاريخية متاحف عمرانية تتسم بالطابع الإسلامي، وهو ما نراه في المدينة المنورة التي وضع الرسول ﷺ أساسها العمراني والتخطيطي، حيث جعل مسجده بوسط المدينة، وألحق به بيته، وجعلها قطاعات حدد لها اتساع شوارعها الرئيسية، مع العلم بأن محور المدينة كلها مسجده، وجعل سوقها بقلب مدينته.

ومثلما أقيمت مدينة رسول الله ﷺ، جرى أيضاً تشييد مدينتي الكوفة والفسطاط لتصبح الأخيرة أول بلدة إسلامية بإفريقيا، وأقامها "عمرو بن العاص" كمدينة جند، وجعل مسجده بقلبها ويجواره دواوين الجند ودار الإمارة، وكانت أيضاً مدينة القيروان المقامة بشمال إفريقيا. هذا وقد كان للتخطيط العمراني الإسلامي سماته الشرعية، حيث تشق الشوارع في المدينة الإسلامية تحت الريح لمنع التلوث، وتقام الورش خارج المدينة لمنع القلق والضوضاء والصخب. وكانت تُمنح تراخيص البناء بشرط أن يكون المبنى مكوّناً من طابق أو طابقين، كما كانت الأسواق مسقوفة لمنع تأثير الشمس، ولكل سوق مراقب يعرف بـ"المحتسب"، وهو الشخص المُتولي مراقبة البيع والأسعار وجودة البضائع، والتفتيش على المصانع، للتأكد من عدم غش السلع أو رداءة الإنتاج.

تشييد المآذن العالية والطويلة، مع اختلافها عن الأبراج الرومانية، حيث إن المئذنة في تلك الحالات قد يصل ارتفاعها إلى سبعين متراً فوق سطح المسجد، في وقت لم تكن فيه الأجهزة الصوتية، التي توصل خطبة الجمعة أو صوت المقرئ لتلك المسافات البعيدة.. وذلك عن طريق تصميم خاص في جدران المسجد والأعمدة، لنقل الصوت من المنبر وتوزيعه على الساحة كلها.

وأقام المسلمون أيام الحكم العباسي والفاطمي سدوداً ضخمة، وشيدوا القناطر وسواقي المياه في مدينة "حماة"، حيث بهرت العالم بما تحويه من مزايا يصعب تكرارها. وكانت هناك سواقي ببعض البلاد الإسلامية تدار بواسطة الحيوانات لري المزارع والحقول، كما وُجدت السواقي التي تدور بقوة الماء، ما مكنها من رفع المياه لمسافة بلغت نحو عشرة أمتار، ليتدفق الماء في القناة فوق السور، وهي تسيير بطريقة الأواني المستطرقة على غرار ما بالسواقي الضخمة أو النواعير المقامة بوضوح على نهر "العاصي" المار بوسط سوريا. وتميزت الحضارة الإسلامية بالتوحيد والتنوع العرقي في الفنون والعلوم والعمارة، ما دامت تلك الفنون لا تخرج عن نطاق القواعد الإسلامية. ففي العمارة نجح أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي بتشييد العاصمة العراقية "بغداد" بمنتصف القرن الثاني الهجري على شكل دائري، والذي يعد اتجاهًا جديدًا في بناء المدن الإسلامية.

إن معظم المدن الإسلامية -وقتها- كانت تقام بطرائق إما مستطيلة كـ"الفسطاط"، أو مربعة كـ"القاهرة"، أو بيضاوية مثل العاصمة اليمينية "صنعاء"، وكان من أهم أسباب ذلك، أن تلك المدن نشأت بجوار مرتفعات كانت تحول دون استدارتها. وبعد تخطيط مدينة بغداد بطريقة دائرية، ظاهرة جديدة بالفن المعماري الإسلامي، وخاصة بالمدن الأخرى التي شيدها العباسيون، مثل مدينة "سامراء" وما حوته من مساجد وقصور خلافة عالية الفخامة. وظهرت مدن تاريخية في ظل الحكم الإسلامي، مثل البصرة والكوفة وبغداد والقاهرة والرقّة، بجانب مدن أخرى، كالقنّاطع والقيروان ومراكش وفاس والجزائر والمهدية، وغيرها من المدن.

hiragate.com

## اختلاف النمط في العمران

انتشرت إقامة المساجد بكل أنحاء دول العالم ليرفع من فوق مآذنها الأذان للصلاة. وتنوعت المساجد في عمارتها وفق طراز العمران بالدول التي دخلت الإسلام، لكنها كلها كانت موحدة في الإطار العام، وبالأخص في اتجاه محاريب القبلة بها، لتكون تجاه القبلة (الكعبة المشرفة)، وفي كل مسجد يوجد المنبر لإلقاء خطبة الجمعة.. وفي بعض المساجد توجد أماكن معزولة مخصصة للسيدات للصلاة، ولكل مسجد مئذنة واحدة أو أكثر ليرفع المؤذن منها الأذان. والمآذن أيضاً تنوعت بطرازها، وإن بعض المساجد يعلو سقفها قبة متنوعة في طرازها المعماري. ونجد في المساجد كذلك المحاريب، وهي عبارة عن علامة دلالية لتعيين اتجاه القبلة، وتلك العلامة على هيئة مسطح أو غائر مجوف أو بارز.

واستعمل المسلمون محاريب مجوفة ذات مسقط متعامد الأضلاع أو مسقط نصف دائري، وقد اختيرت الهيئة المجوفة للمحارب لغرضين رئيسيين؛ أولهما تعيين اتجاه القبلة، وآخرهما توظيف التجويف لتضخيم صوت الإمام في الصلاة ليلبغ من خلفه في الصفوف. وكانت تجاويف المحاريب تبطن وتكسا بمواد شديدة التنوع، مثل الجص (الجبس) والرخام والشرايط المزخرفة بالفسيفساء أو المرمر.. وفي كل من مصر والشام شيد المماليك المحاريب الرخامية، التي تعد من أهم المحاريب الرخامية وأكثرها إبداعاً، حيث تنتهي تجويفه المحارب بطاقة على شكل نصف قبة، مكسوة بأشرطة رخامية متعددة الألوان.

## استخدام البلاط الخزفي

ظهرت براعة الفنانين المسلمين باستخدام مختلف أنواع البلاط الخزفي لتغطية المحاريب، أما الخزافون في الشرق فقاموا باستخدام بلاط الخزف ذي البريق المعدني، والخزف الملون بالأزرق الفيروزي. وقد حفلت المحاريب بالكتابات النسخية التي تضم آيات من القرآن الكريم، بجانب الزخارف النباتية المميزة بالتوريق والأرابيسك، واستخدمت فيها المقرنصات

## الخزفية لتزيين طواقي المحاريب.

وجرت العادة وضع المحراب بمنتصف جدار القبلة، ليكون محور توزيع فتحات النوافذ على جانبيه بالتوازن. والمئذنة الملحقة ببنيات المساجد كان لها أيضاً سماتها المعمارية. وهناك أسماء تاريخية للكثير من كبار المهندسين، منقوشة على المنشآت الفخمة؛ فنجد منهم "ثابت بن ثابت" مهندس قصر الحير بسوريا في القرن الثامن الميلادي، وهناك أيضاً "علي بن جعفر" مهندس قصر الزهراء بقرطبة، والمهندس "فتح الدين" الذي أنشأ جامع "الزيتونة" عام ٨٠٤م، وآخرون.

## قاعات البيت العربي

كانت الخيام هي المسكن الرئيسي لعرب الجاهلية، وكانت بيوتهم تتسم بالبساطة والبدائية.. ومع اتساع الفتوحات والاستقرار والرخاء، بدأ المسلمون ببناء القصور الفاخرة، وأصبح للبيت العربي عمارته المميزة وأقسامه الثابتة، وذلك على الرغم من اختلاف العصور والبلدان. وكان البيت العربي مقسماً على ثلاثة أقسام رئيسية؛ فهناك الجزء الخارجي ويسمى "الحواصل" وفيه مركز الحرس والسائس والخيل والعربات، وهناك القسم الثاني وهو "الأوسط" وكان يتضمن القاعات المهمة للاستقبال والجلوس والطعام، وأمّا القسم الثالث والأخير فكان فيه غرف النوم وقاعات لإقامة النساء، علماً بأن الجزء الأعظم من البيوت العربية، كان يواجهات صماء خالية من النوافذ الخارجية، بحيث لا يتضح للناظر روعة العمارة والزخرفة إلا بعد أن يدخل صحن البيت، وتواجهه ساحة مفتوحة للسماح بتوسطها "فسقية" كبيرة، يتدفق إليها الماء من نوافير على أشكال حيوانية. وتحيط بالبركة العديد من أنواع الأشجار المنتجة وغيرها، وتحيط هذه الساحة غرف البيت من كل جانب، وهي مكونة من طابقين أو ثلاثة، كما ترتفع جدران الغرفة أكثر من خمسة أمتار. وإن الغرف تطل على الساحة عبر مشربيات من الخشب المزخرف المطعم بالعاج، ولها نوافذ تسمى بالشمسيات والقمريات. وبلغ عدد الغرف ببعض قصور بني أمية ما يزيد على ثلاثمائة غرفة، وأهم غرف القصر هو "الإيوان"



الأكثر ارتفاعاً من الغرفة العادية، وفي سقفه قبة دائرية. علمًا بأن كل قصر يشتمل على قاعات شتوية في الناحية القبليّة، تدخلها أشعة الشمس، وتدفأ ليلاً بالفحم. وفيه كذلك قاعات صيفية في الجهة الشماليّة تبرد بملاقف الهواء أو بالنوافير. وكانت توجد بتلك القصور ملاعب وساحات ومخازن واسعة تسمى "الخزائن"؛ منها خزائن الكتب وكان عددها في قصور الفاطميين يبلغ أربعين غرفة، ثم خزائن الكسوات الصيفيّة، وخزائن الجواهر والطيب، ثم خزائن الأدوية.

### المعماريون يدرسون كالأطباء

على غرار الأطباء كان المعماريون العرب؛ حيث كانوا يدرسون بالجامعات، مثل جامعة "بيت الحكمة" التي أنشئت ببغداد عام ٨٣٠م. أما مواد الدراسة فهي تشمل الرياضيات والحساب والجبر وعلم الحيل (الميكانيكا) والرسم، إلى جانب العمارة والهندسة، فضلاً عن العلوم الطبيعيّة مثل الفلك والطبيعة، والعلوم النظرية مثل الدين والحكمة، فكان منهم العلماء والفلاسفة. وظهر هذا الإلمام الشامل بالعلم في الأثر الواضح بالمباني والآثار الخالدة، التي طبّقوا فيها الكثير من العلوم مثل الصوت والضوء والتهوية.

وكان المعماري يضع تصميمه للمبنى على لوحة من الجلد، وبعد اكتشاف الورق استعملوا ورقاً هندسياً عليه مربعات.. كانت القصور تزخر بالفن المعماري والزخارف الإسلاميّة التي تُنقش على الأرض والحوائط والسقوف والمحلات.. وكانت الآيات القرآنيّة تزين جدران البيت من الداخل والخارج، وأغلبها تذكر التواضع أمام الخالق سبحانه، والشكر على نعمه.. وكان المعماري المسلم يسمى بالمهندس أو الحاسب، أما رئيس المعماريين فيلقب بالأستاذ أو الشيخ أو المعلم، للدلالة على مدى تقديره واحترامه من كافة الطوائف.

### ابتكارات في عمارة الحصون

إن "قصر الحمراء" بغرناطة الذي بني في القرن التاسع الميلادي، ظل صامداً حتى عصرنا هذا، على الرغم من تعرض المنطقة لعدة زلازل دمرت كل ما حوله من بيوت

ومبان، ولكن القصر بقي قائماً. فقامت إسبانيا حديثاً بتشكيل لجنة علمية لدراسة تلك الظاهرة؛ فاكتشفوا أن بعض أعمدة القصر مفرغة من الداخل، وفيها قوالب من الرصاص الذي يصب منصهراً، وأن هذا التصميم الهندسي يمتاز بامتصاص الصدمات العنيفة، أما حوائط القصر فصنعت بنوعين من الحجارة على التوالي، ووضعت الحجارة الحمراء مع الحجر الرملي العادي، وهذا التصميم يدعم الجدران أمام الاهتزازات.

كما أدخل العلماء المسلمون ابتكارات مختلفة في عمارة الحصون، منها الممرات المسقوفة لتقلل إصابات الجنود أثناء تنقلهم، ومنها "المزاغل" البارزة التي تمكّن من الحركة الجانبيّة مثل أبراج السور، ومنها نوع من الشرفات أو المشربيات الحجريّة، التي يمكن من خلال الثقوب فيها، صب الزيت أو القطران على جنود العدو.. كما تفننوا في تحصين أبراج القلاع بخوذ من الصخور الضخمة لمقاومة قذائف المنجنيق. ولقد نقل ملوك أوروبا الكثير من هذه الأفكار لبلادهم أثناء الحروب الصليبيّة.. ويميل مؤرخو الغرب عند تقييمهم الحضارات القديمة، إلى اتخاذ الآثار المعماريّة كمقياس للتفوق الحضاري، وتمثل هذه العمارة بالقلاع والحصون الضخمة، وتمائيل الملوك والمقابر الفاخرة، والقصور الزاهية، والنقوش والزخارف. ■

(٢) كاتب وباحث مصري.

### المراجع

- (١) عبقرية الحضارة العربيّة، تعريب: عبد الكريم محفوظ، منشورات وزارة الثقافة (دمشق) ١٩٨٢م.
- (٢) الفن والزخرفة في الإسلام، سليمان حسن، مجلة الوعي الإسلامي، العدد: ٥٣٢، أغسطس ٢٠١٠م.
- (٣) التمثيل والإبداع في العمارة الإسلاميّة، بركات محمد مراد، مجلة حراء، العدد: ٣٥، مارس - أبريل ٢٠١٣م.
- (٤) فضل المسلمين على أوروبا في النهضة العلميّة الحديثة، أحمد شوقي الفنجري، جريدة الحياة، العدد: ١٣٤٨٩، ٢٠٠٠/٢/١٥م.



## الساعة البيولوجية في الكائنات الحية

تواصل الطيور المهاجرة طيرانها ليل نهار.. ففي أواخر الصيف يغادر "الزقزاق الذهبي" منطقة "ألاسكا" إلى مهجره الشتوي الدافئ في جزر "هاواي"، فيطير نحو ألفي ميل بدقة ملاحية وتكيف معرفي، عابراً المحيط الهادئ، لا يضل وجهته أبداً. وفي أقصى شمال أوروبا وأمريكا تتكاثر "خرشنة القطب الشمالي"، لكنها تهجر في الخريف جنوباً إلى أستراليا وإفريقيا، لتبقى حتى فبراير-أبريل، ثم تعود أدراجها شمالاً في رحلة فريدة تبلغ نحو ٣٥,٥٠٠ كم/عام. ولأسابيع متصلة لا تنام الطيور المهاجرة، والحيتان القاتلة (حديثة الولادة)، والدلافين قارورية الأنف، وقد تكون في وضع الغفوة.. وعندما تصل إلى وجهتها وتنمو صغار الحيتان والدلافين قليلاً، تعود بساعاتها المعلقة إلى البرمجة المنتظمة، فضلاً عن حيتان وقروش وسلاحف الماء، التي لا تهتدي بالشمس ولا بالنجوم في ظلمات البحار.

ت

مع اتجاه الشمس وأشعتها تضبط مخلوقات مهاجرة ساعتها الداخلية مع بوصلتها الشمسية، فتستشعر وقتها من اليوم، ووقت تنقلها بين موقع وآخر، والمهاجرة ليلاً تُفعل بوصلتها النجمية، فتميز الاتجاه حتى بعد انحرافها عن مسارها الطبيعي.

حذاء

دليل أو خبرة سابقة معتمدة فقط على إيقاعها الداخلي.

### الساعة البيولوجية والأنشطة الحيوية

الطيور هي الوقت؛ إذ يصبح الديك مع شروق الشمس، ويغني العنديل مساءً، ويدندن الكروان ليلاً، وعلى أرزاقها تغدو خماصاً، وتروح بطاناً.. وبطيران الإوز جنوباً يبدأ الخريف، بينما زقزقة العصفير ورؤية الطيور المهاجرة تدهن فصل الربيع. شكلت الساعة البيولوجية للطيور أهمية علمية ريادية، وشاع أن شبكية عين الطيور -كالدجاج والسمان والحمام- تُدرك تغيرات طول النهار فتضبط توقيت تكاثرها. لكن تبين أن طيوراً عديمة العيون تستجيب لتغيرات اليوم، لكن بتغطية رؤوسها لم تعد قادرة على إدراك التغيرات، ويبدو أن الاستجابة للتغيرات تعتمد على الاستقبال الضوئي الدماغي (إضاءة أنسجة عصبية خاصة إما أسفل تجويف عينه أو عند حافة دماغه)، وعندما يتحد هذا الاستقبال مع إيقاع الساعة الداخلية للخلايا المستقبلية، يطلق هرموناً في الدم فينتقل للغدة النخامية الأمامية، مُحفزاً هرمونات أخرى لتنشيط الأعضاء الجنسية. وفي الأغنام تبلغ فترة الحمل حوالي خمسة شهور، وفي الخيل ١١ شهراً، وتزواج الدببة القطبية كل ٢-٤ سنوات، بينما الكلاب والذئاب والثعالب فمرتين سنوياً.. لذا يتبين أهمية ساعتها الزمنية؛ لأنها إذا لم تتناسل في فترة الشبق -تستمر بضعة أيام- فستتظر لمدد طويلة. ووفق مؤشرات القمر، تطلق بعض أنواع المرحان بيوضها أو نطافها خلال مراحل قمرية معينة لزيادة احتمالية الإخصاب الناجح.

ويبحث "رنة" القطبي الشمالي عن طعامه وينام

فمع اتجاه الشمس وأشعتها تضبط مخلوقات مهاجرة ساعتها الداخلية مع بوصلتها الشمسية، فتستشعر -بدقة- وقتها من اليوم، ووقت تنقلها بين موقع وآخر، ولكن المهاجرة ليلاً -حيث المفترسات قليلة- تُفعل بوصلتها النجمية؛ فتستطيع الطيور تمييز الاتجاهات، كما يجد الحمام والعصفور الدوري طريقه حتى بعد انحرافه عن مساره الطبيعي، مع أن مواقع الشمس والنجوم ليست ثابتة. ففي تجربة، تم إمساك طيور مهاجرة إلى الجنوب ليلاً، ونقلت إلى قبة سماوية، ولما عرض النمط النجمي للسماء المحلية على سقف القبة (وفي تجربة أخرى أضيئت مصابيح اصطناعية كضوء الشمس)، تجمعت الطيور عند الجدار الجنوبي، لرغبتها في مواصلة هجرتها جنوباً.. ومع تدوير النموذج ١٨٠ درجة توافدت للجدار الشمالي، مما يشي بتحديد اتجاهها عبر النجوم أو الشمس، وأنها ورثت برنامجاً دقيقاً للتوقيت الزمني وللوجهات المكانية.

ويرتحل السلمون الأحمر، والأنقليس، والتونة، والسردين، والسلاحف البحرية، من أجل التكاثر؛ فكل أربع سنوات -بمنتصف شهر أكتوبر- يشهد نهر "أدامز" (كولومبيا البريطانية بكندا)، هجرة ١٠-١٥ مليوناً من السلمون الأحمر، في رحلة تستمر ١٧ يوماً ولمسافة ٤٠٠٠ كم للوصول إلى النهر، فتستقر في مصبه وتضع بيضها. وبين يناير-مارس سنوياً تهاجر أسماك الأنقليس آلاف الأميال -من مختلف الأنهار والبحيرات العذبة- إلى أعماق الأطلسي (٣٥٠-٤٥٠ متراً) لتضع بيضها وتموت، لكن صغارها التي لا تعرف شيئاً عن موطن أمهاتها، تعود أدراجها دون أن تضل وجهتها. وفي توقيتات محددة ولوجهات معينة تهاجر أسراب هائلة من الحشرات كفراشة الملك، واليعسوب، والجراد الصحراوي في أواخر مارس/عام. وهجرة الجراد -غالباً- ليست بسبب جوع، لكن حتمية الوقت تؤذن بالهجرة، وبوصوله إلى غايته، يقضي على الحياة النباتية شرّ قضاء. وتوجد مخلوقات مُبرمجة -فطرياً- على تحديد طريق هجرتها؛ ففراشات "أبو دقيق الملكية" تمضي الصيف في أمريكا وجنوبي كندا، ثم تقضي الشتاء في المكسيك، وعندما تتجه جنوباً تطير دون

ويقوم بأنشطة أخرى في ضوء ثابت أو ظلام مستمر، بينما يكون "السلطعون اللاهي" داكن اللون نهاراً وفتح اللون ليلاً. وتنشط "الحيوانات النهارية" فتخرج قبل شروق الشمس مباشرة، أما النشاط الليلي والسبات النهاري فسيمة الخفافيش والفئران والبوم وغيرها، حيث تتمتع "المخلوقات الليلية" بقلة المنافسة على الغذاء، وتتغذى فئران الحقل في دورات مدتها ٢-٣ ساعات. اكتشف "جوزيف تاكهاشي" الجين المسؤول عن ساعة الفئران البيولوجية، لكن طمس الجين لن يؤدي لاختلال الوظائف الظاهرية السلوكية، وستظل مبرمجة بإيقاع الساعة العادية.

ولم تتمكن "أسماك الكهف الصومالية" من رؤية الشمس منذ أكثر من مليون عام، ومع ذلك تمتلك تروس الساعات البيولوجية (دورتها ٤٧ ساعة)، لكنها لم تعد تستجيب للضوء. بينما لدى أسماك "التترا المكسيكية" في الكهوف المظلمة، ساعات نهارية كيسة تساعدها على توفير طاقتها. وتمتلك أسماك "التترا المكسيكية" في المياه السطحية، ساعات تحافظ على الوقت الطبيعي على مدار ٢٤ ساعة. وفي أوقات معينة من السنة تضيء مستعمرات الطحالب المجهرية أمواج المحيط ليلاً - خاصة مع حركة الماء - وغير مضيئة نهاراً. وفي ظل ظروف معملية مظلمة باستمرار، يستمر إيقاعها اليومي من التألق أو عدمه.

#### عند الحشرات

تؤثر إيقاعات القمر على الحشرات وسلوكياتها، كعروض المغازلة والتزاوج والنشاط الليلي؛ فأنواع العث -مثلاً- يكثُر نشاطها خلال مراحل قمرية معينة، ويقوم بعضها بمزامنة تزاوجها مع ضوء مُحدد للقمر. وتبين أن جينين يتحكمان في وقت خروج "ذبابة الفاكهة" من مرحلة العذراء، ويشكلان ساعة يومية يتم تنظيمها داخلياً وخارجياً. وفي عام ١٩٧٠م، قام "رون كينوبكا" و"سيمور بنزر" بفصل الجين المسؤول عن الساعة الداخلية في ذبابة الفاكهة، أما في نهاية مايو، وبعد بلوغه السابعة عشرة من عمره، يغادر الجراد البالغ -في ولاية نيو إنجلاند- شقوقه المظلمة تحت الأرض، فيظهر بالملايين. ولوحظ خروج حشرات "الزيز" من تحت الأرض كل ١٣-١٧

عاماً.. ولا أحد يعرف كيف تحدد الحشرات هذا الوقت، مما يفترض أن لديها مؤقتات تعمل بالسنوات.

وعندما تجد شغالات نحل العسل زهرة متفتحة لتمتص رحيقها، تسجل اتجاهها ومسافاتها ووقتها المقطوع بدقة؛ لتعود إليها -بانتظام- في اليوم التالي، كما ترسم خطأً مباشراً لخليتها، وتم القيام ببحث ذلك تجريبياً. وتوجد عندها ساعات اجتماعية وظيفية؛ فالشغالات الراحيات لا تنتظم في الدورات اليومية العادية، بل تعتنى باليرقات على مدار الساعة، وإذا وضعت شغالة باحثة عن الطعام في وظيفة رعاية اليرقات، فستتبع جدول الرعاية. هذا وقبل دخول حشرات (كالدبابة المنزلية، والخنافس المرقطة، وبعض أنواع الفراشات والبعوض) في سباتها الشتوي، فإن دم البرقة/العذراء/الحشرة الكاملة، ينتج "جليكولات" مانعة للتجمد، ويبدأ إنتاجها مع نقص طول النهار (الخريف وبداية الشتاء)، ويقل بعد انتهاء الشتاء وقدم الربيع؛ حيث تستبدل بالدم الطبيعي.

#### ساعة النباتات والفطريات

في القرن الثامن عشر قام السويدي "كارولوس لينيوس" بزراعة زهور تنفتح وتغلق أزهارها بفارق ساعة. وقد نشاهد الفتح والإغلاق الإيقاعي لأوراق نبتة "المُسْتَحِيَّة" "الميموزا بوديكا"؛ فأوراقها المركبة تنطوي على نفسها وتندلى عند لمسها أو اهتزازها، وهذه الحركات لم تكن استجابة لظروف الإضاءة -كما يحدث مع زهرة نبات دوار الشمس- ولكن النبات نفسه المتحكم فيها، مما دشّن الإيقاع اليومي للنباتات. وتمر بعض النباتات والفطريات بنظام ليلي-نهارى؛ حيث تتحرك وتتمدد أوراقها أو أزهارها أثناء النهار، وتندلى وتطوى أثناء الليل، وتحت الظروف المعملية استمرت هذه الإيقاعات لعدة أيام. وتتمتع زهرة "الأرايدوبسيس" من عائلة الخردل، بضابط بيولوجي للوقت، من أجل البقاء على قيد الحياة في ساعات الليل. ونهاراً تستفيد النباتات من ضوء الشمس -عبر التمثيل الضوئي- لتصنع السكريات التي تتغذى عليها، وتخزن كمية منها لمدها بالطاقة ليلاً. وتتحكم ساعة النبات في إنزيم يعدل بروتين (D1)، الهام في عملية التمثيل الضوئي، كما يحمي نفسه من فرط الأشعة

فوق البنفسجية بإنتاج جزيئات "فلافونويدات" كوقاية ضد الشمس، وعندما يحل الغروب تتوقف الساعة.

وبإيقاع الساعة يعرف النبات الفصول الموسمية ومتى يزهر لجذب الملقحات وتكوين الثمار، كما يتضح هذا الإيقاع في النمو وتبادل الغازات والنشاط الإنزيمي والضوئي وانبعثات الروائح. وتعتمد الساعة النباتية على شبكة وراثية داخل كل خلية، ويتحكم حوالي ٢٠ جيناً في إيقاعها. فتعمل الجينات على إيقاف وتشغيل بعضها البعض في دائرة معقدة، مما يولد إيقاعاً يؤدي إلى إنتاج دورة زمنية تستمر ٢٤ ساعة، وتعمل هذه الدورة جينات أخرى. وذلك يساعد على تحسين وقت الإزهار، وإنتاج غذاء أكثر، ومحاصيل وثمار أوفر، وبجودة أكبر، وتكريس الصوبات والزراعات العمودية المغلقة.

### ساعتان أم عدة ساعات بيولوجية؟

لدى بعض اللافقاريات البحرية ساعتان داخليتان (ليست متماثلتين)، وتتبعان أوقاتاً قمرية وشمسية، وضبطاً خاصاً مع ظاهرة المد والجزر الشهري (غالباً ما يرتبط تزواج كائنات بحرية بمراحل المد والجزر). فلدى "الدودة الخشنة" ساعة تتبع المراحل القمرية (تعديل الساعة اليومية). وتتحكم الدورة القمرية (مدتها ٣٠ يوماً) في عملية التفريخ الحادثة في نفس الوقت من الدورة كل شهر. ووهبت الدودة أيضاً إيقاعاً يومياً للتغذية خلال الليل، أما "قمل البحر المرقط" فلديه ساعتان مستقلتان، واحدة لدورات النهار والليل، والأخرى مضبوطة على المد والجزر. لذا فهو يعرف متى يحفر عميقاً في الرمال لتجنب الانجراف إلى البحر، ومتى يخرج للبحث عن الطعام.

يتم تنظيم ساعة المد والجزر، بواسطة بروتين (الكازين كيناز ١)، الذي قد يكون "ترساً" متبقياً من ساعة قديمة تم بناء جميع الساعات الأخرى عليها. كما أن مضادات الأكسدة "بيروكسيدوكسينات" تتبع أيضاً إيقاع المد والجزر الذي يحدده هذا البروتين. يحدث التزاوج في "دودة باولو" أثناء المد والجزر خلال الربع الأخير من شهر أكتوبر-نوفمبر، بينما تبين أن "سرطانات حدوة الحصان" لها عدة ساعات دائرية ومستقلة.

### الساعة البيولوجية.. حقائق علمية

هي إيقاع حيوي أو تواتر يومي يتم تنظيمه بواسطة الكائنات اليومية، التي لوحظت على نطاق واسع في الكائنات الحية. وعُرف أبسط أنواعها في "البكتيريا الزرقاء أحادية النواة"، كما تبين أنه يمكن تصنيعها معملياً بواسطة ثلاثة بروتينات، هي KaiA, KaiB, KaiC. وهذه الساعة تصمد على مدار ٢٢ ساعة اعتماداً على إضافة جزيئات الطاقة. وبما أن معظم الكائنات وحيدة الخلية لديها إيقاع ينظم انقسام الخلايا والمحتوى الكيميائي، فمن المحتمل أن كل خلية في الكائن متعدد الخلايا يحتوي على هذا الإيقاع أيضاً. ومع ذلك، فإن ساعات الخلايا الخاصة فقط، هي التي تتحكم في السلوك الموجه نحو الوقت للكائن الحي بأكمله. وبالرغم من أن إيقاع الساعة البيولوجية هو عملية داخلية، وتقع عند الثدييات في "النواة فوق التصالبية" (SCN Su- pra Chiasmatic Nuclues) في الدماغ، إلا أنه يتم ضبطها وتنظيمها مع البيئة المحيطة بواسطة محفزات -كدورة الضوء والظلام- طول اليوم، وإطلاق هرمونات معززة للنوم كالميلاتونين، ودرجة الحرارة، وفترة نشاط المد والجزر.. إلخ. والنواة فوق التصالبية مسؤولة أيضاً عن إطلاق هرمون "فازوبريسين"، وهدفه الرئيس هو نظام الغدد الصم العصبية. وبالإضافة إلى الساعة البيولوجية المركزية في SCN، توجد أيضاً الساعات الطرفية في الأنسجة والأعضاء المختلفة في جميع أنحاء الجسم، وتساعد هذه الطرفية في تنظيم العمليات الفسيولوجية المحلية ومزامنتها مع الساعة المركزية.

وتتمثل الوظيفة الرئيسة للساعات البيولوجية في تحسين فسيولوجيا وسلوك الكائن الحي. وهي تؤثر على أنماط الهجرة، ونشاط البحث عن الغذاء، وتوقع توافر الغذاء اليومي، وتجنب الحيوانات المفترسة (أمر حاسم لبقاء العديد من الأنواع)، وتجنب المنافسة، وتوقع التغيرات البيئية الدورية لتعظيم وقت التغذية والاستعداد للظواهر البيئية الدورية في الشتاء والجفاف وغيرها، واكتساب ذاكرة المكان، والملاحظة عند الهجرة. ■

(\*) كاتب وأكاديمي مصري.

## في فكرنا الديني مراجعات وآفاق

لقد تفضل الله تعالى على عباده فأرسل إليهم رسله، وأنزل معهم كتبه، ودلهم بذلك على طريقه المستقيم ومنهجه الذي به نجاتهم وسعادتهم؛ ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه: ١٢٣). والإنسان في رحلة الحياة التي هي دار اختبار وعمل وجد، يتفاعل مع الدين؛ يقترب منه تارة ويتعد عنه أخرى، يرتقي إلى هداياته وتوجيهاته في أحوال، ويتخلف عن ذلك في أحوال أخرى.. وفي هذه الشؤون المتفاوتة يظل الإنسان بحاجة لمراجعة نفسه فيما يتصل بتفاعله مع الدين؛ حتى يستقيم له الطريق، وتسلم له الغاية، وحتى يكون على بصيرة من خطواته.



**طريق الإسلام لتقرير حقائقه هو طريق العلم والمعرفة والسير في الأرض والتأمل في الكون، وليس طريق التسليم بلا علم، أو الخضوع بلا برهان، فضلاً عن الادعاء بلا بينة.**

حذاء

فهو فكر ينبع من الدين لكن لا يتطابق معه، ويحاول التعبير عنه من غير ادعاء بأنه هو الدين نفسه. وتقرير هذا، ليس دعوة لتجاوز الفكر الديني، وإنما لوضعه في الموضوع الصحيح من غير تقديس ولا تسفيه.

## ٢- فكر يفتح على غيره

من الصفات المطلوبة في الفكر الديني صاحب الدور الفاعل في حياة المجتمعات، أنه فكر يفتح على غيره؛ يطلب العلم ولو بُعد طريقه، ويبحث عن الحكمة ولو عند المخالفين.

فالفكر الديني بما أنه فكر، أي يقوم على أعمال العقل في النص الديني، وبما أنه ينبع من الإنسان ويحاول أن يبحث في مشكلاته وتطلعاته.. فإنه يدرك أن التجارب البشرية تتشابه، وهموم الإنسان تتقارب رغم اختلاف الزمان والمكان.. كما يدرك أن الله تعالى أنزل الدين ووضع فيه -لا سيما في جوانب المعاملات- أصولاً عامة ومبادئ ضابطة، وترك عن عمد كثيراً من التفصيلات، حتى لا يشق على الإنسان، وحتى يترك مساحة لاستيعاب المتغيرات التي تترامح عبر مختلف الزمان والمكان.

ولهذا، كان على الفكر الديني أن يُعْمِل العقل كما هو مأمور بذلك في الدين نفسه، وأن يوسع مداركه ويفتح على ما لدى الآخرين من أفكار ورؤى.

رأينا ذلك فيما اقتبسه المسلمون في غزوة الأحزاب من فكرة حفر الخندق التي كانت معروفة لدى الفرس.. وفيما نقله المسلمون بعد ذلك من علوم اليونان.. وفي البعثات العلمية الحديثة لأوروبا؛ التي خرّجت لنا علماء ومفكرين تركوا بصمات مميزة في فكرنا على وجه العموم، والديني منه على وجه الخصوص، أمثال رفاعة الطهطاوي، وطه حسين، ومحمد عبد

وهذه بعض محطات تدعونا إلى أن نتأملها، بما يراجع موقفنا فيها ويفتح لنا آفاقاً في الفهم والسعي.

## ١- فكر بشري

ومن أولى المهمات التي ينبغي أن نهتم بها -مراجعة وتصويباً وتجويداً- ما يتعلق بـ"فكرنا الديني"، الذي لا شك أنه يسهم وبدرجة كبيرة في تشكيل وعينا بصفة عامة، وبالتالي له دور مهم في حياتنا.

وقد يتعجب البعض من أن يرتبط "الفكر" بـ"الدين"، تصوراً منه أن "الدين" بما أنه منهج إلهي مقدس من عند الخالق سبحانه، لا يلحق به "الفكر" أو يقترن به الفكر؛ الذي هو عمل إنساني يقبل الصواب والخطأ، بل ربما كان خطؤه أكثر من صوابه.

والحقيقة أن هذا الاعتراض صحيح في مقدمته وليس كذلك في نتيجته.. نعم، "الدين" منهج إلهي مقدس، نزل من عند الله تعالى المتصف بالعلم والحكمة، والمنزه عن الخطأ والنسيان والغفلة.. لكن هذا "الدين" بمجرد أن يتناوله الإنسان -بالفهم والدرس والاستنتاج والتطبيق- يصبح "فكراً بشرياً"، أي منسوباً للبشر وليس لله تعالى. فضلاً عن أن الدين ذاته يحض على العلم ويعلي درجته، ويجعله سبيلاً للخشية من الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: ٢٨)، وقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩).

لكن تقرير حقيقة أن الفكر الديني فكر بشري، لا يعني أن نهيل عليه التراب ولا أن نتجاوزه، بزعم ما فيه من بشرية؛ ذلك أنه فكر يقوم على الدين، والدين فيه أصول ثابتة، وكليات هادية، وقواعد مستقرة، مثل العقائد والعبادات وأصول المعاملات ومبادئ الأخلاق.. وكلما اقترب الفكر الديني من ذلك كان أقرب إلى الصواب، ونال درجة من الاعتبار والرسوخ ولا أقول "القداسة".

فما يطرحه الفكر الديني من رؤى واجتهادات هو فكر منسوب لأصحابه، وليس مقدساً بحال من الأحوال، لكنه يقترب من الصواب ويحظى بالمكانة بقدر اقترابه من حقائق الدين وتعبيره عنها.

الله دراز، وعبد الحليم محمود، ومحمد البهي. وهذا الانفتاح المطلوب، هو انفتاح واع يدرك ما بين الثقافات والحضارات من اختلاف بالضرورة، فلكل ثقافة أو حضارة ما يميزها عن سائر الثقافات والحضارات، وإلا لكانت نسخاً مكررة من بعضها البعض، وما كانت هناك حاجة للتأكيد على الحوار والتلاقح الفكري بينها.

مجرد الدعوة للانفتاح والاستفادة مما لدى الآخرين، تعني أن ثمة اختلافاً هنا وهناك. وليس هذا الاختلاف مشكلة في حد ذاته. المهم، أن نعرف كيف نوظفه بحيث يؤدي للتكامل، وكيف نوجهه بحيث يتعد عن الصدام.

والفكر الديني مدعو لهذا الانفتاح، لا سيما في عالمنا المعاصر الذي أزيلت فيه كثير من الحواجز، وأصبح تقاربه حقيقة ملموسة أكثر من أي وقت مضى.

### ٣- فكر ينحاز للإنسان

جاء الدين ليحقق للإنسان سعادته في الدنيا والآخرة، وليرفع عنه الحرج والضيق والمشقة، وليزيل عنه ركامات الجهل التي تكبله وتجعل على قلبه وعقله غشاوة، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨)، وقال عن وظيفة النبي ﷺ وطبيعة مهمته: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

فالدين جاء ليحقق مصلحة الإنسان، وليكون له نوراً وهداية ورحمة، لا عنساً ومشقة وحرماً. ولهذا، كان على الفكر الديني أن يلتزم هذه الهدايات التي أنزل الله ﷻ الدين من أجلها، وأن ينحاز هذا الفكر للإنسان. ويتمثل انحياز الفكر الديني للإنسان في عدة أمور، منها:

- إعلاء مكانة الإنسان، وعدم التمييز في ذلك بسبب اختلاف الدين أو العرق أو اللون أو الطبقة؛ فالإنسان مكرم عند الله، وطاعته لله تعالى تزيد تكريمًا على تكريم.
- التيسير في الدعوة، والتزام خطاب يحبب الناس إلى منهج الله، ويسر لهم أمور دينهم، ويصبرهم بوظيفة الدين في حياتهم.

• التعبير عن آمال الإنسان وتطلعاته؛ من حيث تقليل الفجوة بين الطبقات، وضمان الحقوق الأساسية للإنسان، وإنصافه أمام خطابات الكراهية واستنزاف الثروات وتسفيه حريته وإرادته.

• مواجهة المفاهيم المغلوطة عن الدين؛ مثل فهم القضاء والقدر على أنه جبرية، أو فهم الاستسلام لله على أنه سحق لإرادة الإنسان، أو فهم الدعوة للاستعداد للآخرة على أنها نبذ لمتاع الدنيا وطيباتها، أو ربط تزكية الروح بتعذيب الجسد وإعناته.. إلى غير ذلك من مفاهيم تُشقي الإنسان باسم الدين!

الإنسان هو في القلب من الدين؛ فالدين لا يقوم في الحياة بذاته وإنما من خلال الإنسان.. الإنسان الذي يفهم الدين على أنه طاقة للعمل والإبداع، وسعي شريف لتحقيق الطيبات، وعون للإنسان على تحقيق ذاته وحفظ كرامته وضمان حقوقه.. ومن ثم، على الفكر الديني أن ينحاز للإنسان في كل ذلك.

### ٤- عقلانية الخطاب

من الانتقالات المطلوبة في الفكر الديني، أن ينتقل من العاطفية والوعظية إلى العقلانية والإقناع والاستدلال. فالإنسان له روح يناسبها الخطاب الوعظي الذي يهدف إلى التحفيز والتشويق، وله عقل يناسبه الخطاب العقلاني الذي يهدف إلى الإقناع وبيان الفوائد والمضار.

والتركيز على الخطاب الوعظي أدى بالبعض إلى الإفراط والمبالغات والخرافات، والتحليق بالإنسان في مشاعر غير منضبطة أو أفكار غير مستقيمة، وما هكذا الدين. نعم، الدين يقوم على التصديق بالقلب والإذعان بالجوارح، وعلى الرغبة فيما عند الله تعالى من النعيم، والخوف من العذاب المقيم.. لكننا -وبجانب هذا- نحتاج إلى خطاب يقدم الدين في حقائق واضحة، وقيم على مبادئه أدلة مقنعة؛ وبالتالي يحول هداياته إلى سلوكيات محددة لا يشوبها غموض، ولا يعترها تكلف، ولا يخالطها وهم.

وقد كان عجباً أن يبدأ القرآن الكريم أولى توجيهاته للإنسان بالأمر بالقراءة؛ التي هي مفتاح العقل وأداته إلى حقائق الكون والحياة، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ



رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ  
الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* (العلق: ١-٤).

كما جعل القرآن النظر في الأرض وتأمل ما فيها  
ومن فيها، طريقاً لمعرفة عظيم صنع الله تعالى، وقدرته  
على إحياء الخلق بعد الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا  
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ  
الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت: ٢٠).

إذن، طريق الإسلام لتقرير حقائقه هو طريق العلم  
والمعرفة والسير في الأرض والتأمل في الكون، وليس  
طريق التسليم بلا علم، أو الخضوع بلا برهان، فضلاً  
عن الادعاء بلا بينة.

وهذا كله، يوجب على الفكر الديني أن يكون فكراً  
عقلانياً، يدرك حاجة الإنسان إلى البيان والبرهان، ويعلم  
أن الإقناع سبيل لرسوخ المعاني في النفس، ولانعكاسها  
على الجوارح.  
والفكر الديني العقلاني:

- يعتمد الحوار أداة للإقناع ولتوصيل المعاني، لا  
سيما مع أجيال الشباب.  
- يمزج في خطابه بين المثالية والواقعية.  
- يتصالح مع الحياة ولا يخاصمها.  
- يقدم نقداً لنفسه ولا يتماهى مع قداسة النص  
الديني.

- يقيم جسوراً ولا يبنى حواجز.  
- يدرك أن الدين جاء للحياة قبل أن يكون نجاة  
في الآخرة.

## ٥- يعيش مع هدايات القرآن

القرآن الكريم هو ذلك الكتاب المعجز الذي أنزله  
الله تعالى هدى للناس، وجعل فيه النور والرحمة  
والصلاح لأحوالهم. هذا الكتاب العزيز هو أساس  
الإسلام وسر خلوده، وهو كتابه الجامع الهادي إلى  
صراط الله المستقيم.

من أراد التعرف على الإسلام، أو على مقصود الله  
تعالى من خلقه، أو على الدين كيف يكون هادياً للنفس  
موجهاً للحياة.. فيكفيه أن يطالع هذا الكتاب العزيز،  
الذي قال عنه منزله سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ

لِيَذَّبَ بَرِّهَا وَأَيَّاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩). وقال أيضاً:  
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢).

والفكر الديني المطلوب، عليه أن يتعامل مع  
القرآن الكريم بهذا المستوى الذي يرتقي إلى هدايات  
القرآن وأنوراه:

- سواء مما يتصل بالنفس وتركيتها، وصلها بفعل  
الطاعات والابتعاد عن المعاصي.

- أو يتصل بالعقل وتوسيع مداركه، وإقامته على  
البرهان والميزان.

- أو بالمجتمع وتمتين صفوفه وتشيد وحدة أبنائه.  
- أو بترسيخ مفاهيم العدل والقسط والعمران  
والإصلاح في جنبات الحياة.

في كل هذه المجالات وغيرها، تأتي هدايات القرآن  
واضحة بينة شافية؛ تشبع العقل وتزكي النفس وتهدي  
للتتي هي أقوم. وهنا، نشير إلى أن ثمة مستويات للتعامل  
مع القرآن حجت أو لم تبرز هذه الهدايات بشكل  
كافٍ، وذلك حين انشغلت بالتعامل مع القرآن على  
سبيل التبرك فحسب، أو اكتفت بالبحث فيه عن شواهد  
لغوية وبلاغية أو أدلة فقهية وتشريعية.

نعم، القرآن الكريم فيه كل ذلك، لكنه يبقى في  
الأساس كتاب هداية ومنبعا للنور. واللافت أن التعبير  
عن هداية القرآن جاء في مفتتح الكتاب العزيز كما  
ذكرت آية سورة البقرة السابقة، ثم تكرر هذا المعنى  
فيما تلاها من السور، في إشارة مهمة إلى مركزية هذه  
الخاصية من بين خصائص القرآن الكريم. يقول الشيخ  
محمد الصادق عرجون: "والإعجاز بالهداية هو معجزة  
القرآن الخالدة خلود العقل، أما الإعجاز الأسلوبي في  
براعة البيان وروعة الأداء فهو إعجاز خاص بمن يفهمه  
ويزنه بميزان ركائزه من البلاغة العربية التي ذهب أهلها  
بعد أن استعجموا.. وبالهداية كان الإعجاز عاماً شاملاً  
للزمان والمكان والأجيال والأفكار". ولهذا، كان على  
الفكر الديني أن يمتن جسوره مع القرآن الكريم، وأن  
ينبع منه ويدور معه وينتهي إليه. ■

(\*) باحث في الفكر الإسلامي / مصر.



مجلة علمية ثقافية أدبية  
www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية  
تصدر كل شهرين عن دار الانبعاث  
للنشر والتوزيع

رئيس التحرير  
صابر المشرفي

مدير التحرير  
إسماعيل قايار

سكرتير التحرير  
أحمد السيد

الإخراج الفني  
أحمد شحاته

تصميم الغلاف  
محمد نور الدين

نوع النشر  
مجلة دورية تصدر كل شهرين

الطباعة  
دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع  
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229-99

## المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علمياً وفكرياً وسلوكياً.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلاً ومضموناً.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البناء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تألّفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البناء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

## معايير النشر

- أن تكون المادة المرسله جديدة لم يسبق نشرها.
- ألا تتجاوز عدد الكلمات ١٥٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تليخياً واختصاراً.
- المادة المرسله تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، وهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة تحتفظ بحقوقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقاً للتوقيت الذي تراه مناسباً.
- للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسله إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصراً. علماً بأن ما ينشر إلكترونياً لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
- المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
- المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- مجلة حراء لا تمنع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.

ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: [hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)



### EGYPT

٢٢ ج جنوب الأكاديمية، التجمع الخامس، القاهرة الجديدة، القاهرة.  
اشترك وتوزيع هاتف: +201000780841  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

### NIGERIA

Nusret Educational And Cultural Co. Ltd.  
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja  
Phone: +2349030222525  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

### IRAQ

Kani Irfan Publishing English Village N°9 / Erbil  
Phone: +964 750 713 8000  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

### USA

Tughra Books  
345 Clifton Ave., Clifton, NJ, 07011, USA  
Phone: +1 732 868 0210  
Fax: +1 732 868 0211  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

للتواصل مع إدارة المجلة | [hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)



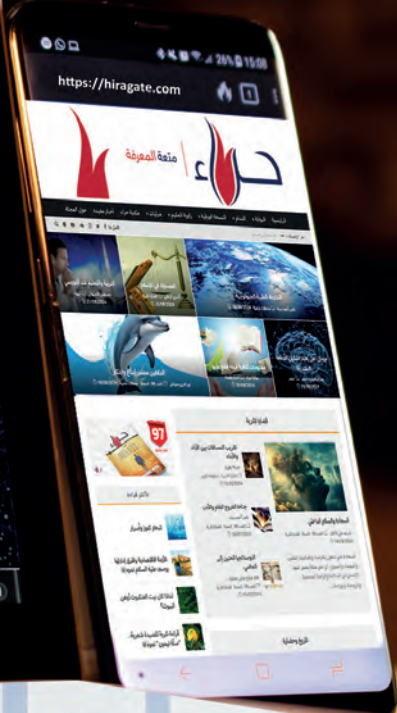
+20 114 782 4322

متعة المعرفة



الرئيسية | البوابة | أقسام | النسخة الورقية | زاوية الحكيم | مرثيات | مكتبة حراء

آخر الإضافات → المساواة في الإسلام



www.hiragate.com



/magazinehira



/hiramagazine



/HiraMedia



/hiragate



/hiragate



مجلة حراء



مركز التوزيع: دار الانبعاث | daralinbiath@gmail.com

+20 102 320 1002



## الحلم

وَحُلْمِ كَمْ بِأَعْيُنِنَا تَبِعْنَاهُ  
وما إنَّ صارتِ الأسبابُ لا تُجدي  
ومَنْ زَمَنِ بَعِيدٍ قَدْ وَعَيْنَاهُ  
رَأَيْنَا الْغَيْمَ بِالرَّحْمَاتِ مِنْهُمْ رَأَيْنَاهُ  
وضاقَ الصَّدْرُ واضطربت حناياهُ  
يُبَشِّرُنَا، وَهَذَا ما انْتَبَرْنَاهُ!

